هل منع شيخ الأزهر إعادة عرض "درب الطيب"

03

حرب سقوط الحسابات ... خطيئة ترامب ونتنياهو الكبرى

06

كوميديا البؤساء: تأملات في ترتيب مصر بتقرير السعادة العالمي

02

تحذير دولى من تصعيد خطير بعد إقرار قانون إعدام الفلسطينيين فى الضفة الغربية

أدان وزراء خارجية جمهورية مصر العربية والمملكة الأردنية الهاشمية ودولة الإمارات العربية المتحدة وجمهورية إندونيسيا وجمهورية باكستان الإسلامية والجمهورية التركية والمملكة العربية السعودية ودولة قطر، بأشد العبارات سن سلطات الاحتلال الإسرائيلى لقانون صادق عليه الكنيست يجيز فرض عقوبة الإعدام فى الضفة الغربية المحتلة ويطبقها بشكل فعلى بحق الفلسطينيين.

وحذّر الوزراء من الإجراءات الإسرائيلية المستمرة، التى ترسّخ نظام فصل عنصرى وتتبنّى خطاباً إقصائياً ينكر الحقوق غير القابلة للتصرف للشعب الفلسطينى ووجوده فى الأرض الفلسطينية المحتلة.

وأكد الوزراء أن هذا التشريع يشكّل تصعيداً خطيراً، لا سيما فى ظل تطبيقه التمييزى بحق الأسرى الفلسطينيين، مشددين على أن مثل هذه الإجراءات من شأنها تأجيج التوترات وتقويض الاستقرار الإقليمي.

وأعرب الوزراء كذلك عن بالغ القلق إزاء أوضاع الأسرى الفلسطينيين فى السجون الإسرائيلية، محذرين من تزايد المخاطر فى ظل تقارير موثوقة عن انتهاكات مستمرة، بما فى ذلك التعذيب، والمعاملة القاسية واللاإنسانية والمهينة، والتجويع، وحرمانهم من حقوقهم الأساسية، مؤكدين أن هذه الممارسات تعكس نهجا أوسع من الانتهاكات بحق الشعب الفلسطيني.

وجدد الوزراء رفضهم للسياسات الإسرائيلية القائمة على التمييز العنصرى والقمع والعدوان، والتى تستهدف الشعب الفلسطيني.

وشدّد الوزراء على ضرورة الامتناع عن الإجراءات التى تفرضها سلطة الاحتلال الإسرائيلى والتى من شأنها تأجيج التوترات، مؤكدين أهمية ضمان المساءلة، وداعين إلى تكثيف الجهود الدولية للحفاظ على الاستقرار ومنع المزيد من التدهور.

أسرى فلسطينيون يقادون عبر الزنازين

أميرة الشريف

البنك المركزي: دراسات ائتمانية دقيقة للبنوك عند منح تسهيلات ائتمانية أو إعادة هيكلة مديونية العملاء

فى إطار الدور المحورى الذى يضطلع به البنك المركزى المصرى فى الحفاظ على الاستقرار المصرفى والمالي، ودوره الرقابى على القطاع المصرفي، يؤكد البنك المركزى المصرى أن كافة البنوك العاملة فى مصر لديها سياسات ائتمانية تتسق مع القواعد والضوابط الرقابية الصادرة، حيث يتم إجراء دراسات ائتمانية دقيقة عند منح أى تسهيلات ائتمانية أو إجراء إعادة هيكلة لمديونية العملاء بما يحفظ حق البنوك، وذلك وفقًا لضوابط منح الائتمان الصادرة عن البنك المركزي، كما يتم الحصول على الضمانات الكافية بناء على موقف العميل الائتماني، بالإضافة إلى اتخاذ جميع إجراءات التحوط بتكوين المخصصات اللازمة لمواجهة أى مخاطر محتملة، بما يضمن الحفاظ التام على أموال المودعين.

كما يؤكد البنك المركزى أن البنوك ملتزمة بالمتابعة الدورية لجميع معاملاتها مع كافة العملاء، وفقًا للقواعد الرقابية وأفضل الممارسات الدولية المتبعة فى هذا الشأن.

وبخصوص ما أُثير مؤخرًا على مواقع التواصل الاجتماعى بشأن مديونية أحد كبار العملاء بالقطاع المصرفي، فقد قام تحالف البنوك الدائنة بإبرام اتفاقية لإعادة هيكلة مديونيات العميل، بما يكفل استيداء كافة المديونيات، شاملة العوائد، مع الحصول على الضمانات الكافية لتغطية المديونية.

ويشدد البنك المركزى أن مؤشرات السلامة المالية للقطاع المصرفى تظهر قوة وصلابة القطاع الأمر الذى ينعكس فى قدرة البنوك على الصمود خلال كافة الأزمات وبالتالى مساندة الاقتصاد القومي.

كما يناشد البنك المركزى مرتادى مواقع التواصل الاجتماعى ضرورة توخى الدقة والحذر قبل تداول أى معلومات قد تثير اللغط وتؤثر فى الرأى العام، واستقاء المعلومات من المصادر الموثوقة.

هيباتيا موسي

جريدة أسبوعية - تصدر عن مؤسسة المشهد للصحافة والنشر

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير
مجدى شندى

الموقع الإلكترونى
www.elmashhad.online

العدد 349 – السنة الرابعة عشرة -
الأربعاء 1 أبريل 2026 م –
13 شوال 1447 هـ
10 صفحة - الثمن 5 جنيهات

المشهد
لا سقف للحرية

ملف

تفاصيل اجتماع مهد لضرب إيران 07

مقالات

مصير العالم .. في قبضة مجنون 08

ثقافة
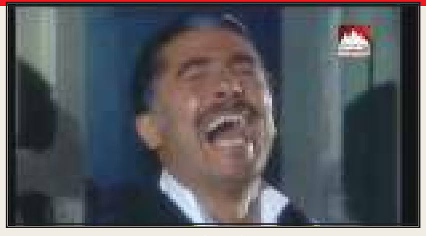
داوود باشا .. غريب الدارين 09

هذه ليست القاهرة التى "لا تنام" كما كنا نعرفها...

صدمة الطاقة من حرب إيران تعتم شوارع مصر وتثير استياء الناس

فى مقهىً على جانب الطريق بوسط القاهرة، كان أبو على فى منتصف رمية الدومينو عندما انطفأت الأنوار فجأة بموجب أوامر الإغلاق المبكر الجديدة التى سُنّت لكبح فاتورة الطاقة المتصاعدة فى مصر جراء الحرب الأمريكية الإسرائيلية على إيران.

قال الرجل البالغ من العمر ٦٣ عاماً وهو يلعب مستخدمًا أحجار الدومينو بينما خيم الظلام على الشارع: "كنت أبقى هنا حتى الثانية بعد منتصف الليل، أما الآن فأعود إلى البيت بحلول الحادية عشرة على أقصى تقدير، لأشاهد الأخبار وحسب. هذه ليست القاهرة التى نعرفها."

دخل الأمر الذى يستمر شهراً، حيز التنفيذ ليغلق المتاجر فى التاسعة مساءً خلال أيام الأسبوع والعاشرة مساءً فى عطلات نهاية الأسبوع، مع تمديد قصير متوقع حتى الحادية عشرة مساءً بمناسبة أعياد الفصح القبطي. إنه تحول مزعج لسكان القاهرة الليليين.

عادةً ما كانت ليالى الخميس تضج بالعائلات التى تتنزه بين واجهات المتاجر، والمراهقين الذين يتسكعون ويمضغون الآيس كريم والموسيقى المنبعثة من المقاهي، حتى ساعات الصباح الأولى، أما الآن فتنهار كل ليلة فى ساعة أخيرة محمومة من التسوق فى اللحظات الأخيرة قبل أن تنطفئ أضواء الفلورسنت الخافتة وتنزل الستائر المعدنية محدثة جلبة.

وتضمن دوريات الشرطة الامتثال، وسرعان ما لا يبقى سوى دراجات توصيل الطلبات البخارية، وهى تتعرج فى الظلام.

ويقول على حجاج، وهو عامل فى متجر، واقفاً أمام متجر الملابس الذى أصبح هادئاً فجأة: "عادةً هذا هو الوقت الذى يبدأ فيه العمل"، وأضاف أن المدينة التى كانت مشهورة يوما بأنها لا تنام أبداً "أصبحت تشبه أيام كوفيد مرة أخرى"، مستذكراً عمليات الإغلاق فى عام ٢٠٢٠ التى أخلت شوارعها.

خفض الدخول

لجأ الموسرون من سكان القاهرة إلى المطاعم المطلة على النيل والفنادق العالمية، المستثناة من القرار بصفتها منشآت سياحية، لكن الشركات الصغيرة بدأت تشعر بالضائقة فعلا، ويقدر حجاج أن متجره خسر أكثر من نصف إيراداته فى غضون أيام.

ويقول المسؤولون إن القرار كان لا مفر منه، نظراً لاعتماد البلاد الشديد على الوقود المستورد، فقد ارتفعت أسعار الطاقة العالمية بشكل كبير منذ بدء الحرب الأمريكية والإسرائيلية على إيران فى أواخر فبراير، وصرح رئيس الوزراء مصطفى مدبولى بأن فاتورة استيراد الطاقة الشهرية لمصر تضاعفت بأكثر من الضعف بين يناير ومارس لتصل إلى ٢,٥ مليار دولار، ويذهب نحو ٦٠ فى المئة من ميزانية النفط السنوية للبلاد البالغة ٢٠ مليار دولار لتشغيل شبكة الكهرباء.

وقدمت الحكومة فى الأسابيع الأخيرة، ما تسميه إجراءات "استثنائية"، بما فى ذلك رفع أسعار الوقود، وإبطاء المشاريع الحكومية، وتفعيل العمل عن بعد أيام الأحد، وتخفيف إضاءة الشوارع.

ويقول المنتقدون إن عمليات الإغلاق المبكر تؤثر بشكل غير متناسب على الاقتصاد غير الرسمي، الذى يشكل نحو ثلثى جميع الوظائف.

وقال الخبير الاقتصادى وائل النحاس: "ملايين الشركات الصغيرة تعتمد على حركة السير المسائية، وتقليص هذه الساعات يعنى تقليص الدخول."

وفقد الجنيه المصرى بالفعل نحو ١٥ فى المئة من قيمته منذ بدء الحرب، مسجلاً ارتفاعاً قياسياً إلى ٥٤,٣ مقابل الدولار، بينما بلغ التضخم ١٣,٦ فى المئة فى مارس.

وقال مالك فى مقهى آخر بوسط البلد، إن الموظفين يتناوبون الآن على العمل، وقال: "نصف العمال يعملون يوماً ويلزمون البيت فى اليوم التالي"، ومع ذلك، لا يزال بعض أصحاب المتاجر متفائلين، وهز عصام فريد، ٦٧ عاماً، كتفيه قائلا: "الناس ستتكيف."

بعض المقاهى طبقت بالفعل تكتيكاً قديماً من زمن كوفيد: خفض الأضواء، وإنزال الستائر المعدنية حتى المنتصف، ثم الاستمرار فى استقبال الزبائن بينما يراقب صبى على الناصية تحسباً لقدوم الشرطة.

الأجواء تختفي

لكن التغيير المفاجئ هز بالفعل صناعتين رئيسيتين: السينما والسياحة.

وقال منتج الأفلام جابى خورى إن دور السينما تخسر أكثر من ٦٠ فى المئة من إيراداتها، وصرح لوكالة فرانس برس: "معظم دخل شباك التذاكر يأتى من عروض التاسعة مساءً ومنتصف الليل. هذا أمر كارثي"، وأضاف أنه تم تأجيل إطلاق عدة أفلام، بينما تأجلت بعض الإنتاجات إلى أجل غير مسمى.

وتخشى السياحة، وهى مصدر حاسم للعملة الأجنبية، من نكسة شديدة ايضًا، فى حين أن المراكز السياحية مثل الأقصر وأسوان مستثناة، فإن المعالم التاريخية فى القاهرة مثل بازار خان الخليلى الذى يعود لقرون ليست كذلك، وبحلول التاسعة مساءً، يقوم أصحاب المتاجر بتكديس بضائعهم، وإطفاء أضواء العرض، وإنزال الستائر المعدنية الحديدية، حتى مع استمرار السائحين فى التجول فى الأزقة.

وقال أحمد علي، وهو صاحب متجر: "إنها الثامنة مساءً تقريباً الآن ولا يزال السائحون يصلون. كيف تتوقع منى أن أغلق فى التاسعة؟ هل سيتمكن السائحون من المغادرة فى ساعة واحدة فقط؟ هذا غير معقول"، وقال مسؤول فى قطاع السياحة، طالباً عدم الكشف عن هويته: "السائحون، وخاصة العرب، يتغذون على طاقة المدينة. عندما يعود المصريون إلى بيوتهم مبكراً، تختفى الأجواء وسيبدأ السائحون فى البحث عن مكان آخر".

ظلام في القاهرة

وكالة فرانس برس

البنك المركزى المصري: تفعيل آلية العمل عن بعد يوم الأحد من كل أسبوع طوال أبريل

أعلن البنك المركزى المصرى فى بيان رسمي، أنه تقرر تفعيل آلية العمل عن بعد يوم الأحد من كل أسبوع طوال شهر أبريل ٢٠٢٦، وذلك فى إطار توجهات الدولة لمواجهة التداعيات الاقتصادية والتوترات الإقليمية، مع التأكيد على عدم تأثر مستوى الخدمة المقدمة للعملاء داخل الفروع.

وقرر البنك المركزى اتخاذ إجراءات تنظيمية جديدة تهدف إلى تعزيز مرونة العمل وضمان استمرارية تقديم الخدمات المصرفية بكفاءة، مشددا على ضرورة استمرار العمل بكامل الكفاءة فى الإدارات الحيوية بالمركز الرئيسي، إلى جانب الالتزام بعدد من الإجراءات التنظيمية، أبرزها استمرار عمل مراكز الاتصال بالبنوك للرد على استفسارات العملاء دون انقطاع، المتابعة المستمرة لتغذية ماكينات الصراف الآلى (ATM) وإجراء الصيانة الدورية لها، مع تعزيز التنسيق مع شركات نقل الأموال، ضمان الجاهزية التشغيلية للقنوات الإلكترونية المختلفة، مع رفع مستوى مراقبة الأمن السيبرانى للأنظمة المصرفية.

ودعا البنك المركزى جميع الجهات المعنية إلى الالتزام الكامل بهذه التعليمات واتخاذ ما يلزم لتنفيذها، مؤكدًا أنه سيتم إعادة تقييم القرار مع نهاية شهر أبريل وفقًا لتطورات الأوضاع.

هيباتيا موسي

تركيا تنفى مزاعم تدخلها فى الحرب:

حملة تضليل تستهدف تشويه الدور الدبلوماسي

أصدر مركز مكافحة التضليل الإعلامى بإدارة الاتصال برئاسة الجمهورية التركية بيانًا رسميًا، نفى خلاله بشكل قاطع صحة الادعاءات المتداولة عبر بعض منصات التواصل الاجتماعي، والتى تزعم أن تركيا بصدد التدخل فى الحرب لصالح إيران أو الدخول إلى لبنان، مؤكدًا أن هذه المزاعم لا تمت للحقيقة بصلة، وتندرج ضمن محاولات ممنهجة لنشر التضليل الإعلامي.

وأوضح البيان أن الجمهورية التركية أعلنت منذ اندلاع الأزمة أنها ليست طرفًا فى هذا النزاع، مشددًا على أن موقف أنقرة ثابت ويستند إلى تبنى الحلول السلمية والدبلوماسية.

وأشار إلى أنه تحت قيادة رجب طيب أردوغان، تواصل تركيا بذل جهود دبلوماسية مكثفة تهدف إلى وقف الهجمات فى أقرب وقت ممكن، والحيلولة دون اتساع رقعة الحرب، وصولا إلى تحقيق سلام دائم فى المنطقة، وهو ما يحظى بتقدير مختلف الأطراف الفاعلة، لا سيما الجهات المنخرطة فى النزاع.

وأكد البيان أن مثل هذه الأخبار المضللة تمثل جزءًا من حرب نفسية تستهدف تشويه صورة تركيا وتقويض دورها البنّاء فى التعامل مع الأزمة، داعيًا فى الوقت ذاته الرأى العام المحلى والدولى إلى تحرى الدقة وعدم الانسياق وراء الشائعات، والاعتماد فقط على البيانات الرسمية الصادرة عن الجهات المختصة.

الرئيس التركي رجب طيب أردوغان

وكالات

سعر النسخة فى الدول العربية الكويت ٤٠٠ فلس - السعودية ٤ ريالات - البحرين ٤٠٠ فلس - قطر ٤ريالات - الامارات ٤ دراهم - عمان ٤٠٠ بيزة - الأردن ٤٠٠ فلس - تونس ٦٠٠ مليم - فلسطين ٠٫٣ دولار - لبنان ١٥٠٠٠ليرة - اليمن ٤٠ ريال- المملكة المتحدة ٢ جيك

المشهد
العدد 349 – السنة الرابعة عشرة-الأربعاء 1 أبريل 2026 م – 13 شوال 1447 هـ

قالت العرب

في ذلك الليل الذي أتى بغير إذنٍ | في ذلك الليل الذي كأنه جدارٌ | رأيت قلبي نائما في جوف تيه | في جوف خوف ليس بعده الذي يليه | في جوف سجنٍ | وكل أعضائي التي منذ قليلٍ لم تكن تئنّ | رأيتها تئنّ.

عبدالمنعم رمضان (١٩٥١ - .....)

كوميديا البؤساء: تأملات فى تقرير السعادة العالمى

المنطق المصرى ونحن فى المركز 139: السعادة أن تكتشف أن هناك أحداً تحتك!!

المصرى العادى بطل مجهول يمثل فى مسرحية تراجيدية من تأليف الظروف وإخراج الغلاء، يستيقظ كل صباح ليواجه معادلة لا يستطيع حلها أينشتاين نفسه

من عام إلى عام، ومنذ العام ٢٠١٢ وحتى هذا العام، وتقرير السعادة العالمى يطل علينا كوثيقة بيروقراطية صادرة عن جهة لا نعرفها "شبكة حلول للتنمية المستدامة" (SDSN)، التابعة للأمم المتحدة، تحمل فى طياتها سخريتها الباردة.. والفنلنديون، هناك فى تلك القلعة الشمالية التى لم يزرها أحد منا قط، يحتلون للمرة التاسعة على التوالى مقعد الصدارة، كأن الأمر إرث عائلى لا يقبل المنافسة.. يجلسون على عرش من جليد، يتنفسون هواءً متجمّداً لا يليق إلا بمن لا يشعر بالبرد أصلا، ويمسحون بذلك الجليد الأبيض على وجه الخريطة، كأنما يقولون للعالم: "الأمر ليس صعباً، هكذا تكون الحياة حين تُرتّب من البداية".

أما نحن فى مصر، فلدينا موهبة أعظم؛ وهى تحويل أى إحصاء، مهما كان محرجا، إلى ملحمة وطنية تصلح لأن تُدرّس فى كليات الفلسفة تحت عنوان: "كيف لا ترى ما تراه عيناك".. نتصفح الترتيب بأيد مرتجفة قليلا، ثم نغمغم ببراءة: "الحمد لله على نعمة أننا لسنا آخر الناس".. وفى هذه الغمغمة الصغيرة تتأسس فلسفة كاملة: أن السعادة ليست أن تكون فى المقدمة أو فوق أحد، بل أن تكتشف أن هناك أحداً تحتك.. أن تجد من هو أسوأ حالا، فتستريح، وتكمل طريقك فى هذا الزحام الذى لا يعرف السعادة، بابتسامة مصرية أصيلة شعارها: "ما دام فى حد ورانا، فإحنا كويسين".

وهنا تكمن العبثية السوداوية: شعب صاحب أعظم حضارة عرفها التاريخ، علم البشرية معنى العدل والكتابة والبناء، يُختزل اليوم فى معادلة بسيطة: "لسنا آخر الشعوب".. فشعب كان يمكن أن يعلم الفنلنديين معنى السعادة قبل أن يعرفوا معنى النار، يجد نفسه اليوم فى مؤخرة القطار، لكنه لا يغضب، بل يفتش فى ذيل القائمة عمن هم أسفل منه ليطمئن.. كأن التاريخ الطويل لم يكن ليخلق فينا إحساسا بالاستحقاق، بل ليخلق فينا موهبة فائقة فى التكيف مع أى مقعد، حتى لو كان فى العربة الأخيرة، مقلوبا، تحت الأمتعة.

فالحمد لله الذى بنعمته تتم الإنجازات.. فنحن – وبفضل تضافر الجهود الوطنية – استقر بنا المقام فى المركز التاسع والثلاثين بعد المائة (١٣٩) من بين مائة وسبع وأربعين أمة (١٤٧)، فى سباق طويل نهايته لا تشبه بدايته.. فلقد نجحنا فى تحقيق ما يشبه المعجزة: تقدّمنا بفارق شاسع عن أفغانستان، تلك البقعة التى حظيت بشرف احتلال المركز الأخير، لتكون خاتمة المسك لقائمة الأمم المتحدة.. ونحن لسنا نطمح أن نكون أسعد شعب على وجه الأرض، هذا صحيح، لكننا – وطبقاً لمبادئ المعادلة الوطنية – لسنا أفغان.. وهذا، فى منطق الأمم التى تبحث عن موطئ قدم فى زمن تطايرت فيه الأقدام، يعد إنجازاً دستوريا لا يُستهان به، يستحق أن يُخلّد بتمثال فى ميدان التحرير، ولا أعرف لمن سيكون التمثال، ولكنى أعرف أنه سيكون عليه لافته مكتوبا عليها: "آخرون أقل منا، وهذا يكفينا".

وفى اللحظة التى يصبح فيها الحلم الوطنى – بعد طول تفاوض مع الواقع – هو "ألا نكون الأسوأ"، تتحول الحياة كلها إلى كوميديا سوداء تُعرض على مسرح إقليمى لا يخلو من الجيران.. فبينما تحتل أفغانستان ذيل القائمة بجدارة، نجد أنفسنا محشورين فى جوار حميم مع الكونغو الديمقراطية وتنزانيا ولبنان واليمن، وكأن الجغرافيا قررت فجأة أن تجمعنا فى ناد إقليمى مغلق عنوانه: "من لا يستحقون التعاسة وحدهم".. ونحن جميعا فى حفلة عيد ميلاد واحدة، لكن الكعكة فيها حنظل، ولا شمع للإضاءة، والموسيقى تصادر من وقت لآخر.. جيران لطفاء فى التعاسة، تجمعنا بهم وشائج قراءة لا تعلنها وزارات الخارجية، لكنها تعلنها الأرقام.

وفى هذا الجوار الحميم، تتجلى عبقرية التكيف: أن البؤس حين يصبح جماعيا يتحول إلى شبكة أمان.. فأن تكون تعيسا مع جيرانك أحيانا أفضل من أن تكون تعيسا وحدك.. ونحن فى مصر، شعب الحضارة التى علمت العالم معنى الجوار، نؤدى دورنا التاريخي: نستضيفهم فى قاع الترتيب، ونقدم لهم نموذجا فى الصبر على المقعد، لأننا نعرف أن السعادة الحقيقية ليست فى أن تكون فوق أحد، بل فى أن تجد من يجلس إلى جوارك، فتنسى للحظة أن المقعد كله مكسور.

مفارقة: فلسطين وإيران أعلى منا ترتيبا

لكن المفارقة الأعمق هى أن دولا تعيش تحت سماء تتساقط عليها القنابل كأنها أمطار صيفية، وشعوبا خاضت فى إبادات جماعية، استطاعت أن تتقدم علينا فى ترتيب السعادة.. ففلسطين، رغم كل ما يجرى فيها، احتلت مرتبة تسبقنا، وكأنها تطل من تحت الأنقاض لتقول: "انظروا، حتى ونحن نحصى ما فوقنا من حجارة، نبتسم أكثر منكم وأنتم تحصون الفواتير".. وإيران، وهى تخوض حربها الدائرة، تتفوق علينا أيضا، وكأن الحرب عندهم موسيقى تصويرية خفيفة تجعل للحياة إيقاعا جهاديا.. وليبيا والصومال، اللذان لو قلت لصديق مقرب "سافر إليهما فى إجازة" لاعتدى عليك بالكلام، أحرزا تقدما طفيفا فى سباق السعادة.

فهذه الدول – بكل المقاييس المنطقية – كان المفروض أن تكون معنا فى عربة الذيل، أو حتى تحت العجلات، لكنهم وجدوا لأنفسهم مقاعد أفضل قليلا فى صالة انتظار التعاسة العالمية.. وكأن القنابل تمنح أصحابها دفعة معنوية خفيفة، وكأن غياب "الاستقرار" الذى نفتخر به أحيانا يكون أكثر راحة للأعصاب من وجوده المستقر الذى لا يتحرك ولا يتركك تتحرك.

وهنا تتجلى الحكمة الأكثر إيلاماً: أن الاستقرار الذى نحمله راية قد لا يكون أكثر من غرفة مغلقة بإحكام، لا تدخلها القنابل، صحيح، لكن لا يدخلها الهواء أيضاً.. بينما أولئك الذين فى العراء، تحت القنابل، يتعلمون أن يعيشوا كل لحظة وكأنها آخر لحظة، فيجدون فيها معنى لا نجده نحن فى سنواتنا الطويلة المستقرة.. إنهم يرقصون على إيقاع الخطر، ونحن نتململ على إيقاع الروتين.. والفارق بين الرقص والتململ هو الفارق بين أن تكون حيا بشقاء، أو أن تكون ميتا ببطء.

وهنا يطل السؤال الوجودى الأكثر طرافة: هل نحن حقا أبأس حالا ممن تسقط عليهم القنابل ما بين الفطور والغداء؟ هل العيش تحت سماء تمطر صواريخ، خير من الوقوف فى طابور الخبز تحت الشمس، وأنت تعرف أن الصواريخ القادمة تحمل اسماءنا؟ أم أن السعادة – حسب معادلات التقرير – تخضع لمنطق رياضى غريب، لا مكان فيه لوزارة التموين، ولا لعداد الكهرباء الذى يقفز كالجراد، ولا لسعر العملة الذى يهبط أسرع من المصعد المقطوع، ولا حتى لقدسية الأقداس: الفول والطعمية؟

إنها عبثية تحول الاستقرار إلى التعاسة المنظمة بامتياز: أن تكون فى حالة استقرار لا يحسدك عليه أحد، وأن ترى من تحت الأنقاض من يلوح لك مبتسما، فتتساءل: أين الخلل؟ هل الخلل فى تعريف السعادة أم فى تعريف الاستقرار؟ أم أن المشكلة أعمق: أن الاستقرار الذى نعيشه هو نفسه نوع من الحرب، لكنها حرب باردة تدار ضد مواطنيها بلا قنابل، فقط بفواتير وطوابير وأسعار وقوانين وضرائب ورسوم وأرقام لا تنتهي.. حرب لا تجعلك بطلا، بل تجعلك مواطنا مستهلكا يدفع الثمن مرتين: مرة فى الطابور، ومرة فى الحلم.

مفاتيح غائبة للسعادة

الحقيقة أن التقرير يضع أمامنا ثلاثة مفاتيح للسعادة: الدخل، ومتوسط العمر، والدعم الاجتماعي، ثلاثة مفاتيح لطيفة، لو كانت تعمل.. لكن قفل الحياة المصرى صُنع فى شركة مختلفة تماما، لا تصدر كتالوجا، ولا ترد على الشكاوى، وتتخصص فى صناعة أقفال لا تفتح إلا من الداخل.

> اللحظة التى يصبح فيها الحلم الوطنى – بعد طول تفاوض مع الواقع – هو "ألا نكون الأسوأ"

فالمصرى العادي، ذلك البطل المجهول الذى اضطر أن يمثل فى مسرحية تراجيدية من تأليف الظروف وإخراج الغلاء، يستيقظ كل صباح ليواجه معادلة لا يستطيع حلها أينشتاين نفسه: كيف تكون سعيداً ودخلك بالجنيه المصرى يتخذ منحى هبوطياً حاداً لدرجة أنك لو حملته فوق برج القاهرة وأسقطته، لوصل إلى الأرض قبل أن تنزل أنت على السلالم؟ إنه أداء استعراضى فى القفز بالمظلات، دون مظلة، ودون تصفيق فى النهاية.

ثم كيف تبتسم والغلاء يضرب أرقاماً قياسية فى أولمبياد رفع الأسعار، ويتوج بذهبية كل يوم باسم سلعة جديدة لم تكن تعرف أن لها ثمنا؟ الغلاء عندنا لم يعد مجرد أزمة، أصبح رياضة وطنية معترفا بها، والمواطن هو المتفرج الإجبارى الذى يدفع ثمن التذكرة من جيبه مرتين.

وأما الدعم الاجتماعى – تلك الشبكة الإنسانية – فله فى القاهرة معنى آخر: هو دعم عضلات قدميك فقط، حين تقف فى زحام لا يرحم.. والزحام المصرى هو أصدق تعبير عن التكافل الاجتماعي: كلنا ندعم بعضنا بالدفع والتدافع، ونحن نردد فى سرّنا: "إنما الأمة كالجسد، إذا اشتكى رأساً تداعتَ له الأقدام بالزحام".

وفى خضم هذه التفاصيل التى لا يراها التقرير، تتجلى الحكمة العبثية الأكثر قربا: أن النظام لا يحتاج إلى أن يكون عادلا ليدوم، بل يحتاج فقط إلى أن يكون مألوفا.. والمصري، الذى ربما كان يمكنه أن يصنع من الحجر معجزة، تعلم أن يصنع من العبث ألف معنى.. تعلم أن السعادة ليست فى أن تحل المعادلة، بل فى أن تنسى أن هناك معادلة أصلا.. تعلم أن الغلاء ليس عدوا يحاربه، بل هو حالة طقسية نتكيف معها.. تعلم أن الزحام ليس مشكلة، بل هو الطريقة الوحيدة التى نشعر بها أننا معاً ولسنا وحدنا.

وإذا كان الفلسطيني، رغم القصف والتهجير، لايزال يتمتع بدرجة سعادة نسبية تفوق درجتي، فأنا أتقدم بطلب عاجل لتحقيق رسمي: ماذا يفعل الفلسطينى ولا نفعل نحن؟ هل السر فى "الدخل" الذى غاب عن جيوبنا؟ أم أن السعادة فى مصر تحتاج إلى ترخيص مسبق من الوزارات المختصة، وما زلنا ننتظر الرد؟ أم أن المشكلة أعمق: أن الفلسطينى يملك عدواً واضحاً يحاربه، أما نحن فلا نعرف هل عدونا هو الفاتورة أم الطابور أم سعر الصرف أم كل ذلك معاً؟

والخلاصة: أن الشعب المصرى يمارس رياضة التحدى الأكثر عبثية: كيف تبقى واقفاً على قدميك وأنت تحتل موقعاً فى مؤخرة الركب يجعل حتى من خلفك يصعب عليه رؤيتك؟ ربما المشكلة ليست فى الدخل ولا فى الخدمات.. وربما نحن لسنا تعساء بالمعنى الدقيق، ربما نحن فقط نمر بمرحلة "تجميل للتعاسة"، نضع فيها طبقة خفيفة من المساحيق الوردية على وجه الواقع القاسي، ثم نقول لأنفسنا: "هى كده، تقبلها أو ارحل".

أو ربما – وهذا الاحتمال الأكثر حكمة وإيلاماً – أننا أدركنا مبكراً أن السعادة مبالغ فيها، وأن الجلوس فى المركز ١٣٩ أفضل بمراحل من الجلوس فى المركز ١٤٧، لأن هذا الفارق الصغير يمنحنا شيئاً ثميناً: الأمل.. الأمل فى أن نتراجع أكثر العام القادم أو نتقدم قليلا، لكن المهم أننا لسنا أفغانستان.. فطالما هناك من هو أسوأ، فإن الرضا ممكن، والنوم هنيء.

فى النهاية، كما يقول المثل المصرى المتجدد الذى نردده كتعويذة وطنية: "إحنا فى نعمة، واللى مش مصدق يروح يشوف أفغانستان".. هذه الجملة البسيطة تحمل فلسفة متكاملة: أن السعادة ليست فيما تملك، بل فيمن ترى أمامك فى الطابور.. طالما هناك من يقف خلفك، فأنت فى المقدمة.. بهذه العبقرية المنطقية، نغلق ملف التقرير عاماً بعد عام، ثم نعود إلى غرفنا، نشغل فيلماً هندياً، نضحك على نكاته المتوقعة، ونبكى على مشاعره المفتعلة، وننسى أننا كنا قبل قليل نبحث عن السعادة فى ورقة رسمية، فلم نجدها، فقررنا أن نخلقها بأنفسنا من وهم أن الغير أسوأ حالا.

إنها الحكمة المصرية العظيمة التى تليق بشعب صاحب أعظم حضارة على الأرض: أن تحوّل القاع إلى منصة انطلاق لا تنطلق، وأن تجلس فى المركز ١٣٩ وأنت مقتنع أن هذا ليس إخفاقا، بل موقف وجودى متقدم على من خلفك بثمانى خطوات.. وأن تبتسم ابتسامة صفراء، لا لأنك سعيد، بل لأنك اكتشفت أن السعادة الحقيقية ليست فى أن تكون فوق الجميع، بل فى أن تجد من هو تحتك، فتطمئن، وتنام، وتحلم حلماً قصيراً: أن تظل كما أنت، لا تقدما ولا تراجعا، فقط أن لا تكون الأخير.. وهذا – فى زمن ضاعت فيه كل الأحلام الكبيرة – هو الحلم الوحيد الذى لم يخب.

بسطاء يحملون الهموم

ترتيب الدول العربية في مؤشر السعادة العالمي

بقلم: أحمد حمدى درويش

رشقة أفكار

خجل.. الخليج العربي!

بقلم: محمود الشربيني

– أنا مصرى نعم.. هذه أرضى هنا تقطع يقينا بميلادى على هذه الأرض. "هذه ارضى أنا وأبى ضحى هنا".. وليس وحده: عمى وعمك وخالى وخالك.. تضحيات المصريين دفاعا عن أرضهم امتدّت على مدى قرون مضت. المعلن والمتوافق عليه منها سبعة آلاف عام.. ورغم أن هذا يجعل مصر أعرق شعوب العالم.. لكننى أميل عقليا ووجدانيا إلى الأفكار والدراسات التى تعود بعمر مصر والمصريين إلى ما هو أكثر بكثير من هذه الآلاف السبعة الضئيلة.عمر العالم ملايين السنين، فكيف يكون لمصر هذا العمر القليل وهى أعرق حضارة علمت العالم !

– تعلمنا فنون القتال والصمود المذهل فى وقت الحرب.. تعلمنا أن نكون مختلفين تماما عندما نواجه العدوان.. تعودنا أن نخسر معركة ونكسب معارك، وأصبح هذا جزءا من الجينات المصرية.. كل الغزوات جاءت هنا واحتلت هذا البلد ودحرها أهل هذا البلد .. مصر الآن ليست محتلة من أجنبي.. أراضيها محررة.. وأفتح قوسا اعتراضيا لأقول فى هذه النقطة تحديدا: لو أن مصر الرسمية أعلنت فى ظروف أخرى مواتية أن " أم الرشراش" مدينة مصرية محتلة، فسوف أكون أول من يتطوع للقتال مع المقاتلين لاستعادة أم الرشراش. المؤرخون والسياسيون وقانونيون وصحفيون يؤكدون بين الحين والآخر أن أم الرشراش مصرية وأنها يجب استعادتها. وأنا انتظر أن تسنح للدولة المصرية الفرصة لتقول لنا أنها مصرية.. أنتظر ان تواتينا الفرصة فى أى وقت، تطالب دولتنا باستعادة هذه المدينة، وتسعى لاستعادتها سواء على طريقة التحكيم كما جرى فى طابا، أو بالقتال كما جرى فى سيناء، كى أكون فى طليعة المتطوعين – وأنا فى هذا العمر – من أجل استعادتها.

– .. وأم الرشراش فى التاريخ المصرى هى بلدة حدودية مصرية سابقة على خليج العقبة، احتلتها اسرائيل خلال عملية عرفت بعملية "عوفدا" عقب حرب ١٩٤٨ وغيرت هويتها واسمها من أم الرشراش إلى إيلات. تاريخيا معروف أن أم الرشراش كانت أرضاً مصرية تحرسها حامية شرطة مصرية حتى عام ١٩٤٩، وتعتبر منفذا استراتيجيا وتقع حاليا بجوار مدينة العقبة وطابا، وهذه الأخيرة كان الكيان الصهيونى احتلها وتم استعادتها بالتحكيم الدولي. تعتبر أم الرشراش حاليا منطقة سياحية وتجارية حرة. وبتغيير هوية المدينة – التى تم الاستيلاء عليها فى أعقاب حرب ٤٨ وليس فى اثناء عدوان يونيو ٦٧ – أصبحت المنفذ الاسرائيلى الوحيد (ايلات) لدولة الكيان الصهيونى على البحر الأحمر ١٩٤٨.. بإنشاء هذا الميناء، تمكن الصهيونيون من الوصول إلى البحر الأحمر والمحيط الهندي، مما كسر الطوق البحرى العربى فى خليج العقبة وربطها بشرق أفريقيا وآسيا. مازلنا نذكر أم الرشراش ولن ننسي، فماذا عن الذين ينسون بلادهم محتلة؟!

تجريف عقول مصر بحكم العمر أو بالرحيل والغياب، أو بالإبعاد أو بالتهميش، يجعل من يتحدثون عن محددات الأمن القومى قلة قليلة جدا (بحكم متابعاتي: عبد الله السناوى لايزال مهتما.. وكذا عبد الحليم قنديل وحمدين صباحى وعمار على حسن وآخرون) وفى ظرف كهذا ومع تجريف وتغييب حاصل كهذا، لا بد من انتظار كلمة القوات المسلحة، والأمن القومى بآجهزته، ورئيس الدولة بتوجيهاته، لنسمع محددات أمننا القومى من هذه الجهات.. بعد أن رحل الصوت الواثق والأكثر وعيا بحكم الخبرة والممارسة والمشاركة والتفكير، وهو صوت الأستاذ محمد حسنين هيكل.

بعض الدول العربية حديثة النشأة مثل الإمارات العربية لا ترتقى إلى مستوى اللحظة العربية الخطيرة! كنت أظن أن حكيم العرب الشيخ زايد سيترك من بين أبنائه الحكام من يتمثلون حكمته ويسعون إلى رفعة شأن الإمارات بتعميق الوحدة العربية وليس بتخريب الصف العربى وتقسيمه وتشرذمه، بالتدخل بهدف إذكاء الحرب الأهلية فى السودان، وتعميق انقسام الصومال، والعمل على انفصال اليمن الجنوبى وتقسيمه، وضرب مصر فى الخاصرة بدعم التوجه الإثيوبى فى إنشاء سد خراب يخرب مصر!

قرقاش وخلفان

من الغريب أن يكون العدوان الصهيوأميركى البشع على إيران، قد تسبب فى توجيه مدافع آيات الله نحو الخليج العربي، ورغم أن إيران تواجه أكثر من جبهة، ومشغولة بأعنف حرب يشهدها العالم فى تاريخه وماتزال الإمارات تعمل على تكريس وزيادة تواجدها فى ليبيا المنقسمة، والسودان المتحاربة ببشاعة وجنون ولا إنسانية، واليمن التى كانت على شفير انفصال وتقسيم أو تكاد، وتطلق الإمارات كلابها النابحة و"العدودة" النائحة ليست كالنائحه الثكلى! هذا الضاحى خلفان الذى يبشر بالحلم الصهيوني! يبشر قائد الشرطة بأنه "لا أمل فى أى دولة بالمنطقة وأنه لابد من تمتين وتوثيق العلاقات مع "إخرائيل"؟ ألا تخجل أيها الرجل. وهل قائد الشرطة الحقيقى يتجاهل قوة وتاريخ مصر على هذا النحو فيقول إنه لا أمل فى دول المنطقة؟ ألستم أنتم من ترفضون إنشاء قوة عربية مشتركة اقترحتها مصر فى سابق الايام؟! هل تريد من مصر فقط أن تصبح بندقية للإيجار؟ من يقول بمثل ماتقول ليس قائداً!

لو كان قائداً حقيقيا للشرطة لخجل من احتلال إيران لجزر بلاده؟ أليست أرض الإمارات محتلة حتى اليوم؟ ورغم أنها محتلة لم يفكر فى كتابة تصريح واحد أو تغريدة على منصته المفضلة (X) يطالب فيه بتحرير جزر بلاده الثلاث المحتلة من إيران! ألا تخجل أنت وغيرك من هذا الاحتلال؟ أرضك محتلة وتذهب لتحارب فى بلاد أخرى خارج بلادك؟ بدلا من أن تستأجر مرتزقة تحارب لك وتثير الفتن والدسائس وتستولى على ثروات السودان والصومال واليمن وإثيوبيا لتحرير أرضك من الاحتلال؟ تشترون سلاحا وعتادا ومرتزقة حرب بمليارات المليارات، وتقاتلون قتال الخزى والعار فى بلدان أخرى عربية، لا يهمكم مَنْ منَ النساء العربيات فتكتم بهن وبقرتم بطونهن واغتصبتمَ أرواحهن ، ولا بكمْ من الرجال أو الشيوخ والصبية يدفعون أرواحهَم بلا ثمن، حيث تحصد أرواحهم أسلحة فتاكة، اشتريتموها لتستولوا على ثروات بلادهم، من الذهب والموارد الطبيعية وإيجاد موطيء قدم لكم فى دول عربية فاشلة، تريدون احتلالها وإدارتها بالوكالة!

يا سيد قرقاش يامستشار الرئيس الإماراتى محمد بن زايد، لماذا تتحدث عن مصر الآن، وأنتم ودول عربية تابعة للاستعمار والصهيونية، رفضتم كل محاولات الدولة العربية الأكبر والأعرق والأعظم، لإنشاء قوة عربية مشتركة، لماذا ترفض مشاركة مصر واقتراح مصر بتعميق القوى العربية وتوحيدها، وعندما تدوس لكم إيران على طرف – بل وأطراف – لا تجدون من تهاجمونه إلا مصر، وتطالبونها بأن تكون مجرد "بندقية للإيجار" ! خسيء كل من يتصورون ذلك. فى عهد عبدالناصر ردعنا عبد الكريم قاسم عام ١٩٦١ (زمن عبد الناصر العظيم) عن احتلال الكويت، وفى عام ١٩٩١ فى زمن مبارك ردعنا صدام حسين وتم تحرير الكويت، لكن القدر لم يكن رحيما بنا، فقد تسبب صدام فى اللعنة التى نعانى منها اليوم فهو من جاء بالقوات الأجنبية إلى بلادنا، وهو الذى دفع الدول الخليجية المهددة إلى الاحتماء بالأميركيين، فوافقت لهم على إقامة قواعد أميركية فى بلدانهم ثبت أنها كانت وبالا عليهم ماليا وأمنيا ووطنيا أيضا!

يا قرقاش؛ أنسيت ان بلادك محتلة؟ لو أن لديك الآن جيشا ومقاتلين لماذا لا تذهب وتطرد القوات الإيرانية من جزر طنب الكبرى والصارى وأبو موسي!! هل تتخيل أن هذه الجزر التى تصرّون فى كل اجتماع للجامعة العربية على أن تنص قرارات الجامعة العربية على إدانة احتلال إيران لهذه الجزر والمطالبة بإعادتها للسيادة الإماراتية؟

ألا تخجل أنت وضاحى خلفان؟ حيث تنشغلون الآن بقضايا أخرى فى بلدان أخرى وحروب أخرى، ولا تفكرون الآن والفرصة سانحة تماما بعد تدمير إيران أن تعودوا وتبسطوا سلطاتكم – ولو بالمرتزقة – على هذه الجزر!

الجامعة العربية كانت معكم دائما، فى المطالبات "الورقية" المطالبة بانهاء احتلال الجزر، لكن – رغم أن ايران ضربت بلادكم واعتدت على سيادتكم – أليس غريبا أن الشروط التى تقدمها أميركا لوقف عدوانها على إيران ليس من بينها هذه الجزر التى تحتلها إيران، وتظل دليلا على الخيبة والعار الإماراتي!

أتأمرون العرب.. أتأمرون مصر .. بالبر وتحرير الأرض وتنسون أنفسكم؟

ألا تخجلون؟! يا قرقاش ويا خلفان؟!

.. وأين أنت ياحمرة الخجل؟!

قالت العرب
صار الليلُ طويلًا مثل الليل النائم في الطرقاتْ | وصارت لغةُ الليل لغات عاليةَ النبراتْ | وصار بكائي لا يُشبهُهُ غيرُ الماء النازل من قدم الكلماتْ | وصار غنائي لا يُشبهُهُ | غيرُ النورِ الخامْ
المشهد
العدد 349 – السنة الرابعة عشرة-الأربعاء 1 أبريل 2026 م – 13 شوال 1447 هـ

هل منع شيخ الأزهر إعادة عرض مسلسل «درب الطيب»؟

الشيخ الطيب فى العمل صاحب بصيرة نافذة، يرى ما لا يراه الآخرون ويصل صوته إلى نور الدين فى القاهرة بينما الشيخ فى الأقصر

انزعاج أسرة الطيب بسبب تصوير جدهم فى المسلسل فى هيئة الزاهد الصوفى «الخواص» على غرار عدد كبير من الصوفية

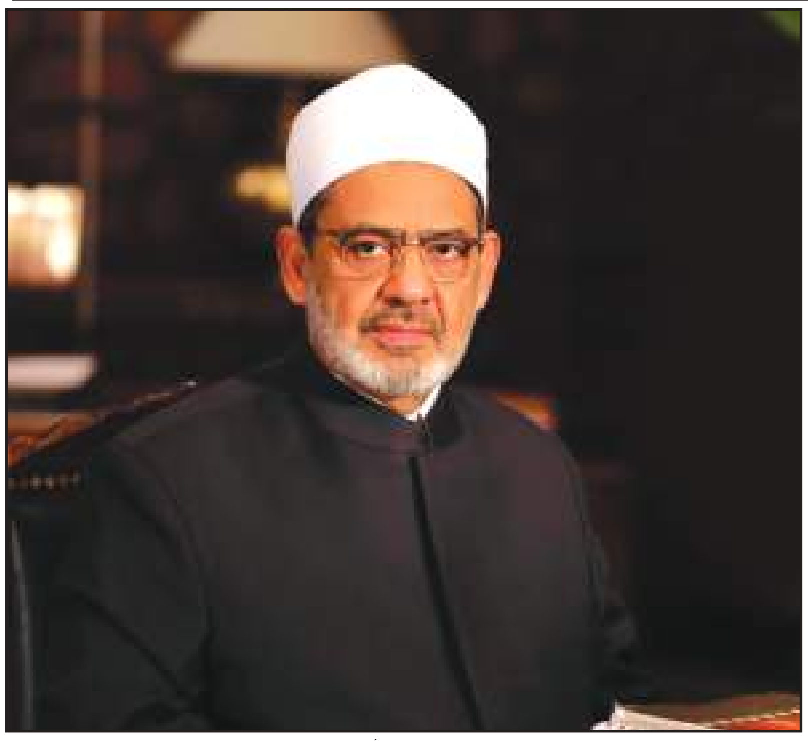
فضيلة الإمام الأكبر

الشيخ أحمد الطيب جد شيخ الأزهر

تمر هذا العام الذكرى العشرون لعرض مسلسل «درب الطيب» (٢٠٠٦م)، من إخراج نادر جلال (١٩٤١–٢٠١٤م)، وسيناريو وحوار بشير الديك (١٩٤٤–٢٠٢٤م)، المأخوذ عن رواية الدكتور أحمد شمس الدين الحجاجى (١٩٣٥–٢٠٢٤م) «سيرة الشيخ نور الدين» (١٩٨٧م).

حقق المسلسل نجاحًا لافتًا وقت عرضه فى رمضان ٢٠٠٦م، غير أنّه على الرغم من ذلك نادر الظهور إلى حدّ يثير الدهشة على شاشات التلفزيون حتى اليوم. ويُشاع أن سبب منعه أو تجاهلَه جاء فى إطار ودي، على خلفية ما قيل عن انزعاج أسرة شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب (أدى دوره الفنان الكبير محمد الجندي)، بسبب تصوير جدهم فى المسلسل فى هيئة الزاهد الصوفى «الخواص»، أى العامل فى مهنة الخوص، على غرار عدد كبير من الصوفية الذين اقتاتوا من هذه المهنة أشهرهم إبراهيم الخواص، أحد أعلام التصوف فى القرن الثالث الهجرى ومن أقران الجنيد والنوري، وكذلك على الخواص البرلسي، أحد كبار المتصوفة فى القرن العاشر الهجري. وهى صورة لا تتوافق مع الحقيقة التاريخية للشيخ الطيب الأقصرى جد الإمام الأكبر شيخ الأزهر الحالى الدكتور أحمد الطيب.

هذه المعالجة لا تعود إلى رواية الحجاجى ذاتها، التى لم تقدّم الشخصية على هذا النحو، وتمثل اجتهادًا دراميًا من بشير الديك، الذى منح العمل اسمه «درب الطيب»، أى الطريق الصوفى للشيخ الطيب. وفى تقديري، فإن مثل هذا الاجتهاد لا يستدعى غضبًا، لا من شيخ الأزهر ولا من أسرته، فالمسلسل فى نهاية المطاف عمل فنى أولا، حتى وإن استند إلى وقائع حقيقية، ولا يجوز محاكمته بمنطق التوثيق الصارم أو على اجتهاد سنقول إن الديك أخطأ فيه لعدم معرفته بمدى حساسية هذه الشخصية.

يؤرخ المسلسل لما يقارب قرنًا كاملًا من التاريخ الاجتماعى والسياسى لمدينة الأقصر. اختار بشير الديك نقطة انطلاقه من ألمانيا، متكئًا على واحدة من أكثر الحوادث الإرهابية أثرًا فى الوجدان المصرى والعالمي، مذبحة الدير البحرى عام ١٩٩٧م، التى أسفرت عن مقتل ٥٨ سائحًا. على إثر هذه الفاجعة، يقرر الابن «محمود»، أستاذ الأدب الشعبي، العودة إلى الأقصر بعد غربة امتدت لأكثر من ربع قرن فى الجامعات الغربية، لاستعادة صورة المدينة المتسامحة التى عرفها وورثها عن الأجداد، وألا يتركها فريسة للأفكار السوداء المسمومة. وفيها تنبثق فكرة كتابة سيرة أبيه «نور الدين أبو البركات»، سيرة شخص تحمل فى طياتها سيرة الأقصر نفسها ومصر بأكملها.

اختار بشير الديك صيغة «الراوي» يمثلها محمود بن الشيخ نور الدين (الممثل محمد نجاتي) وتقنية الاسترجاع (الفلاش باك) أداة أساسية لسرد الأحداث، مستفيدًا من الرواية الأصلية التى تقوم على التقنية ذاتها، مع وعي بالفارق الجوهرى بين آليات التقنين فى الوسيطِ المقروء والوسيط المرئي. تنطلق الحكاية من الراوى الذى يتحرك بين الماضى والحاضر، كاشفًا عبر ذاكرته تحولات الأقصر، ومن خلفها مصر بأكملها، اجتماعيًا وسياسيًا واقتصاديًا.

تتشكل السيرة عبر مسار الأب «نور الدين أبو البركات» (الممثل هشام سليم)، الذى يسافر إلى الأزهر الشريف طلبًا للعلم، وينحاز مبكرًا للحركة الوطنية؛ يساند العرابيين، وينخرط فى العمل السياسى ضد الاحتلال الإنجليزي، يشايع مصطفى كامل (١٨٧٤ – ١٩٠٨م) يقود المظاهرات فى الأزهر الشريف ضد الاحتلال، ويُلقى به فى السجن. وبعد عودته إلى الأقصر عقب حصوله على الشهادة العالمية، ينخرط بقوة فى ثورة ١٩١٩، ويشكّل جناحًا عسكريًا فى جنوب مصر لمقاومة الاحتلال والمطالبة بالاستقلال.

ويمضى المسلسل فى رصد السيرة الوطنية للرجل متشابكة مع سيرة المكان، فيعايش وباء الملاريا الذى ضرب جنوب مصر فى أربعينيات القرن العشرين وحصد أرواح المئات، ثم يتلقى صدمة نكبة ١٩٤٨ من خلال ابنه «سعد» الذى يشارك مع الفدائيين فى فلسطين ويعود مهزومًا. ومع قيام حركة يوليو ١٩٥٢، يتحمس نور الدين لبداياتها، قبل أن يصطدم بتحولها السلطوي، حين يصدر قرار بهدم «ساحة الحجاجية» المقامة فوق معبد الأقصر، بقرار من جمال عبد الناصر نفسه، دون أن تجدى شفاعة أو وساطة. إثر هذه الواقعة، يتوفى نور الدين خاتمة رمزية لجيل كامل والانتقال من مرحلة إلى أخرى.

يتواصل الخيط الدرامى مع الجيل الجديد، ممثلًا فى الابن الأصغر «محمود» الذى يعود إلى الأقصر بعد غياب دام لعقود قضاها فى الدول الأوروبية. يلتقى بأصدقائه وهم فى الأساس أبناء أصدقاء أبيه، ويؤسسون معًا جمعية «الأقصر بلدنا»، لاستعادة الوجه المتسامح للمدينة، ورفض اختزالها فى خطاب الكراهية أو تركها فريسة للإرهاب. لتؤكد الجمعية على وحدة النسيج الاجتماعي، والحفاظ على هوية الأقصر التاريخية، ورفض بيع إرثها الرمزي، ويتجلى ذلك فى معركة محمود ضد بيع منزل الشيخ نور الدين وتحويله إلى مول سياحي، دفاعًا عن القيمة الروحية للمكان، قيمة التى لا تقدر بثمن. فالبيت الذى ساع وحل مشاكل الأقصر عبر الشيخ نور الدين يواصل دوره الاجتماعى بما يتواقف مع العصر الحديث عبر جمعية تبحث مشاكل المجتمع الأقصر وتعمل على حلها.

تسيطر على المسلسل، من حلقته الأولى حتى الأخيرة (٣٤ حلقة)، الروح العجائبية الصوفية التى لا تعترف بالقوانين الأرضية ولا تخضع لمنطق السببية المادية. ففى غربته، بعد تلقيه خبر مذبحة الدير البحري، يشاهد محمود والده المتوفى يطلب منه العودة إلى الأقصر، رؤية يقظة لا منام، يترك له خلالها سبحتَه دليلًا ماديًا على حدوث اللقاء. يعود محمود، حاملًا السبحة التى كان نور الدين قد أخذها من شيخه الطيب، فى إشارة صريحة إلى انتقال «الولاية» من الأب إلى أصغر أبنائه.

يتواصل هذا البعد الصوفى مع عودة محمود إلى الأقصر، حين تنفتح له غرفة أبيه التى عجز الجميع عن فتحها منذ وفاة نور الدين وضياع مفتاحها. يفتحها دون مفتاح أو جهد، بينما يعجز الآخرون عن ذلك، فى دلالة واضحة على أن سرّ الغرفة شأنها شأن الولاية غير ممنوح إلا له.

ويبرز الشيخ الطيب فى العمل بوصفه صاحب بصيرة نافذة، قادرًا رغم فقدانه البصر على رؤية ما لا يراه الآخرون. يصل صوته إلى نور الدين فى القاهرة بينما الشيخ فى الأقصر، محذرًا إياه من الوقوع فى الخطيئة، فى إحالة تذكرنا بواقعة عمر بن الخطاب الشهيرة «يا سارية الجبل». كما يظهر الطيب من «أهل الخطوة» فى الاصطلاح الصوفي، أولئك الذين يمتلكون قدرة خارقة على الانتقال من مكان إلى آخر فى لمح البصر، أو قطع مسافات شاسعة بخطوة واحدة.

ولا يقتصر البعد العجائبى على الشيخ الطيب وحده، يمتد كراماته إلى نور الدين أبو البركات نفسه، التى تتجلى بوضوح فى رحلته إلى السودان لجلب الجمال مع صديقه البصيري، وقدرته على استعادة الجمال المسروقة من قُطّاع الطرق بمفرده، دون أن يكشف العمل عن حيلته أو يفسرها تفسيرًا ماديًا تاركًا الحدث معلقًا فى فضاء الكرامة الصوفية، بينما يرفض نور الدين هذا التفسير العجائبي.

يحرص المسلسل، فى الوقت ذاته، على رفض تغييب العقل أو إخضاع مجمل الأحداث لمنطق الغيبيات الخالصة. فـ«نور الدين» يمنح دائمًا الأولوية لمنطق السببية، ولا يلجأ إلى ما وراء الطبيعة إلا حين تستنفد الحلول الأرضية إمكاناتها. فمعاركه ضد الإنجليز فى ثورة ١٩١٩، لا تقوم على الكرامات أو الخوارق، قائمة على الترتيب والتخطيط الدقيق والعمل المنظم. ويظهر نور الدين وهو يسخر من صديقه البصيرى حين رفع بصره إلى السماء ورأى نجمًا لامعًا متفائلًا بنجاتهم من الحصار، لتأتى المفارقة الدرامية قاسية بإلقاء القبض عليهم.

وحتى الكرامات المنسوبة إلى نور الدين نفسه، لا تأتى الغالبية منها فى صورة أفعال خارقة تلغى الفعل البشري، فإغلاقه لكرخانة الغوازى كما تنبأ له شيخه الطيب بعدما فشل الجميع فى إغلاقها، لم يتم عبر الهدم لكن من خلال إقناع العاملين فيه بالتوبة وإدراكهم لسوء العاقبة والمصير، أى عبر تغيير الوعى لا تحطيم المكان. ليحضر التصوف فى المسلسل قوة إصلاح أخلاقى واجتماعى قائمة على الاقتناع والحب لا العنف والكراهية وليس وسيلة للانسحاب من الواقع أو تعطيل العقل.

يقدّم المسلسل سيرة شخصية تبدو استثنائية، غير أن هذه الاستثنائية لا تنفصل عن نمط إنسانى شكّل عماد عالم الجنوب، الشيخ المتعلم، المتنور المحب للعلم، الرافض للتقاليد البالية التى تجافى العقل. يعمل الشيخ نور الدين على تأسيس مدرسة فى الأقصر لتعليم أبناء الأقصر والقرى المحيطة بها بدلًا من السفر إلى قنا، يجمع التبرعات لتحمّل نفقات الطلاب الدارسين فى القاهرة التى يعزف الآباء عن إرسالهم رغم تفوقهم لعجزهم عن تحمّل كلفة التعليم، فى ظل غياب دور الدولة والتهميش المزمن الذى تعانيه المناطق البعيدة عن المركز.

لا تبدو هذه الصورة بعيدة عن الواقع، فقد وُلدتُ فى قرية كانت جميع مدارسها ثمرة لتبرعات الأهالي. أولى هذه المدارس شيّدت بجهود ذاتية وبالطوب اللّبِن على يد الشيخ الأمير محمد صالح عام ١٩٦٧م، ثم تلتها ثلاث مدارس أزهرية (ابتدائية، وإعدادية، وثانوية للبنين والبنات) أقيمت جميعها عبر التبرعات التى دعا إليها الشيخ نفسه، فضلًا عن مسجدين وساحة، والكتاتيب، وعدد من المشروعات الخدمية الأخرى.

المسلسل فى نهاية المطاف عمل فنى أولا، حتى وإن استند إلى وقائع حقيقية، ولا يجوز محاكمته بمنطق التوثيق الصارم

المسلسل يؤرخ لقرن كامل من التاريخ الاجتماعى والسياسى للأقصر ويرصد «سيرة الشيخ نور الدين» متشابكة مع سيرة المكان

وهو ما يضيء الخلفية الاجتماعية التى يتحرك فيها نموذج الشيخ نور الدين، فهو امتداد حى لتجربة جنوبية راسخة.

من هنا تتضح خطورة وأهمية الدور الاجتماعى الذى يضطلع به الشيخ نور الدين، لا بديل له داخل هذه المجتمعات شبه المغلقة، التى تثق فى السلطة الدينية أكثر من أى سلطة أخرى، خاصة حين يكون الشيخ قد اختبر صدقه وعدله عبر الزمن. يلجأ إليه الناس فى الصغيرة والكبيرة، وينجح فى حل قضايا شديدة الخطورة مثل قضايا الشرف التى نجح الشيخ نور الدين داخل المسلسل فى احتواء أزمة كادت تُفضى إلى إراقة دماء، عبر تزويج الطرفين وستر الفضيحة.

من الخيوط الدرامية التى كانت فى حاجة إلى تعميق وحفر أكبر فى المسلسل، شخصية دياب، الطالب النجِيب الذى حارب الشيخ نور الدين من أجل استكمال تعليمه الجامعي. وبالفعل ينجح دياب ويتفوّق، ويدرس فى جامعة السوربون بباريس ويحصل على درجة الدكتوراه منها، ثم يعود إلى الأقصر على فترات متقطعة، لا يقيم فى بيته، ويفضّل الإقامة فى أحد فنادق المدينة. يتعالى على أهله، ويتعامل معهم كخدم، متناسيًا أصوله بعد استقراره فى القاهرة وزواجه منها. وفى كل عودة، لا يأتى إلا ليبيع قطعة جديدة من أرضه متناسيًا حاجة أمه وأخيه لهذه الأرض مصدر دخلهم الوحيد والذى لم يتلق تعليمه لعدم قدرة الأسرة على رعاية اثنين من أبنائها وسط نظام تعليمى مكلف.

تعميق هذا الخط كان كفيلًا بإضافة بعد حيوى للمسلسل، وطرح قضية شديدة الأهمية حول أثر التعليم فى تشكيل الهوية وتغيرها، ولا سيما الهويات المحلية. كما كان من الممكن صنع مقابلة درامية ثرية بين دياب ومحمود، ابن الشيخ نور الدين؛ فكلاهما درس فى جامعات الغرب لسنوات، غير أن المسارين يختلفان جذريًا. فمحمود، الذى تتنافس المؤسسات الأكاديمية الغربية على استبقائه وتغريه بالرواتب التى يريدها، يختار العودة إلى الأقصر لإنقاذها واستعادة روحها الجميلة، يعود متناغمًا مع عالمها، محبًا لها، ومؤمنًا بقيمها. أما دِياب، فيرى فى مجتمع الأقصر عالمًا متخلفًا غارقًا فى الخرافات، لا يستحق التوقف عنده أو الانتماء إليه.

استثمار شخصية دياب على النحو الأمثل دراميًا، كان سيقدم صيغة موازية لشخصيات إشكالية كبرى فى السرد والدراما العربية الحديثة مثل إسماعيل فى «قنديل أم هاشم» ليحيى حقي، ومصطفى سعيد فى «موسم الهجرة إلى الشمال» للطيب صالح. غير أن الشخصية لا تحضر إلا فى الحلقات الأخيرة من المسلسل، وتعالج بتحولات سريعة مختزلة، تنتقل فيها من التعالى والقطيعة إلى رؤية الشيخ نور الدين الذى يدعو له ويراهن على «أصله الطيب»، فيتأثر بكلامه ويعود فجأة إلى نقائه والتفاهم مع عالم الأقصر، والعيش فيها مع أسرته. نقلة درامية، على وجاهتها المعنوية، كانت فى حاجة إلى حبكة أكثر إحكامًا، وتدرّج نفسى وزمنى أوضح، حتى يأتى التحول مقنعًا بقدر عمق الإشكالية التى تطرحها الشخصية.

رسم الفنان هشام سليم (١٩٥٨ – ٢٠٢٢م) شخصية الشيخ نور الدين بأداء مقنع، اتسم بالهدوء والعمق، وباستخدام لغة جنوبية بعيدة عن التنميط الصعيدى الشائع فى الدراما المصرية. وأسهم فى ترسيخ هذه المصداقية أداء كل من روجينا فى دور «رفيقة»، وفتوح أحمد فى شخصية «الزغابي»، ومحمود الجندى فى دور «الطيب»، وإن ظلت اللهجة تمثل تحديًا لدى عدد من الممثلين الآخرين، لا سيما فى نطق حرفى الجيم والقاف الصعيديتين، حيث غلبت أحيانًا الصيغة القاهرية أو الهجينة.

وعلى مستوى الصورة، راعت/ الجلاليب إلى حد بعيد شكلها وأنماطها كما كانت سائدة فى الأقصر خلال الحقبة الزمنية التى تدور فيها الأحداث، وهو ما يحسب للعمل من حيث الوعى بالبعد البصرى للمكان. غير أنّ ما يُؤخذ على المسلسل أنه قدم الجيل الجديد، ممثلًا فى محمود وأصدقائه، وكذلك أبناء هذا الجيل، وهم يرتدون القمصان والبناطيل طوال الوقت، على خلاف الواقع الاجتماعى فى الجنوب. فهذه الملابس ترتدى عادة عند الذهاب إلى المؤسسات الرسمية، كالمدارس أو أماكن العمل، ثم يعود الأفراد بعدها إلى ارتداء الجلاليب، الزى اليومى الذى يشكّل جزءًا أصيلًا من الهوية البصرية والثقافية للمكان.

توجد بعض التفاصيل الأخرى التى لم يلتفت إليها الإخراج بالقدر الكافي، خاصة ما يتصل بمنطق الزمن واستمرارية المكان. فالأرض التى يفلحها نور الدين ووالده، وعلى تعدد المشاهد التى ترصد مراحل زمنية مختلفة، تظهر دائمًا على الهيئة نفسها دون أى تغيير، بما يكشف أن هذه المشاهد صُوّرت فى المكان ذاته وفى توقيت واحد دون مراعاةَ لتحولات الزمن وموسم الفيضان، الزرع والحصاد..

وينسحب الأمر ذاته على المكان الذى يغرق فيه «أخو» نور الدين، يظهر بالصورة نفسها بعد مرور عقود، حين يعود المشهد مع محمود، دون أن تطرأ عليه أى علامات للتغير أو آثار لتطاول الزمن، رغم أن الزمن بطبيعته لا يبقى شيئًا على حاله، خاصة فى الأماكن المفتوحة والطبيعية.

وتتجلى المفارقة الزمنية كذلك فى الشخصيات، تظهر رقية (لقاء الخميسي)، زوجة الشيخ نور الدين، فى مشاهد تجمعها بمحمود، أصغر أبناء الشيخ، وهى فى سن الشباب، بينما يكون نور الدين قد بلغ الشيخوخة، دون أن تنعكس عوامل الزمن على ملامحها بالقدر المنطقي. ويتكرر الأمر مع فتحية طنطاوى فى دور «رتيبة»، أم دياب التى تظهر فى شباب ابنها وهى حريصة على دعمه للوصول إلى التعليم الجامعي، ثم تعود لتظهر بالهيئة نفسها بعد مرور سنوات طويلة، فى الوقت الذى يظهر فيه دياب (على عبد الرحيم) كهلًا وقد اشتعل رأسه شيبًا. تكشف هذه التفاصيل، وإن بدت صغيرة، عن خلل فى التعامل مع الزمن يزداد وضوحًا فى عمل يمتد على ما يقارب قرن كامل، ويعتمد فى بنائه على التتابع التاريخى والاسترجاع المستمر.

غير أنّ هذه الملاحظات، فى مجملها، تفاصيل لا تنتقص من قيمة هذا العمل ولا من المكانة التى يستحقها عن جدارة فى تاريخ الدراما المصرية.

د. عبدالكريم الحجراوي

المشهد
العدد 349 – السنة الرابعة عشرة-الأربعاء 1 أبريل 2026 م – 13 شوال 1447 هـ

قالت العرب

لأن غيمتي هناك تحت الشمسِ قربَ ساحةِ الفَناءْ | أشاءُ ما تشاؤه التي تشاءْ | أمشي على الرصيفِ مثلَ عاشقٍ | بغير خرقةٍ وغيرِ ثوبْ | أمشي بلا صمتٍ بلا صوتٍ بغيرِ جارةٍ وغيرِ جارْ | أمشي بغيرِ قلبْ.

حملة طرد الإيرانيين من الإمارات تتواصل

طرد الإيرانيين من دبي

أطلقت دولة الإمارات العربية المتحدة حملة واسعة على الإيرانيين المقيمين فى البلاد، شملت إلغاء التأشيرات وإغلاق مؤسسات، وذلك احتجاجًا على الهجمات اليومية بالطائرات المسيّرة والصواريخ التى تنفذها طهران.

وتقول عائلات إيرانية عدة فى دبى إن لديها أقارب عاشوا فى الإمارات لعقود، لكن السلطات ألغت تأشيراتهم فجأة، أحيانًا أثناء سفرهم، ما تركهم غير قادرين على العودة.

وأعلنت الإمارات هذا الأسبوع فرض حظر أوسع على حاملى جوازات السفر الإيرانية من دخول البلاد أو العبور عبرها، وكانت قد أغلقت فى وقت سابق المستشفى الإيراني، وهى مؤسسة تكاد تضاهى الدولة عمرًا، إلى جانب ناد اجتماعى إيرانى ومدارس إيرانية عدة، ما جعلً بقاء العائلات أكثر صعوبة.

وقد أثرت هذه الإجراءات على جالية تقارب نصف مليون شخص، طالما شكّلت ركيزة لعلاقة اقتصادية متبادلة المنفعة بين البلدين.

وتُعد الإمارات أهم صلة لإيران بالاقتصاد العالمي، إذ عملت لسنوات كمركز مالى للشركات الإيرانية وللأفراد الباحثين عن ملاذ من العقوبات الغربية، وفقًا لمحللين يتابعون أنشطة طهران ووزارة الخزانة الأمريكية، وساهمت الأموال الإيرانية فى المقابل فى دفع نمو العاصمة التجارية للإمارات، دبي.

وقال مجيد انصارى مالك مطعم إيرانى عريق فى دبى يدعى "الأستاذ كباب الخاص" إنه يتفهم تشديد القيود من قبل الحكومة الإماراتية، وقال: "إنهم يريدون الأمان، وأنا أتفهم ذلك"، بينما كان النادلون يمرون مسرعين حاملين أطباق لحم الضأن والدجاج المتبّل باللبن، وأضاف أن الروابط التاريخية بين إيران ودبى عميقة، ولن تهتز بسهولة بسبب الصراع الدائر.

وقال أنصاري، الذى افتتح والده المطعم قبل نحو نصف قرن عام ١٩٧٨، بعد سبع سنوات فقط من تأسيس الإمارات: "هم يحترموننا ونحن نحترمهم".

وعلى الجانب الآخر من الشارع فى متجر "على بن علي" للبقالة، بدا أحد الباعة أكثر قلقًا وهو يرتب صناديق التمر والمكسرات الإيرانية، وقال إن لديه عائلة فى إيران، لكنه يعتبر دبى موطنه، ويخشى المغادرة خشية ألا يتمكن من العودة.

وشهدت العلاقات بين الإمارات وإيران توترات منذ سنوات طويلة، لكنها تصاعدت تحت ضغط الحرب، فقد بدأت إيران إطلاق طائرات مسيّرة وصواريخ على الإمارات تقريبًا فور تعرضها لهجمات من الولايات المتحدة وإسرائيل، مستهدفة مواقع بارزة، منها جزيرة النخلة الاصطناعية فى دبي، وفندق برج العرب الفاخر، والمطار، وأطلقت إيران نحو ٢٥٠٠ طائرة مسيّرة وصاروخ على البلاد، وهو عدد يفوق بكثير ما أطلقته تجاه إسرائيل.

وأفادت صحيفة وول ستريت جورنال يوم الثلاثاء أن دولة الإمارات تستعد لاحتمال الانخراط عسكريًا مع إيران، وقد تتخذ إجراءات لإعادة فتح مضيق هرمز بالقوة، ما سيجعلها أول دولة فى الخليج العربى تتحول إلى طرف مقاتل. ومع ذلك، قال مسؤول إماراتى إن موقف البلاد لا يزال دفاعيًا.

كما تدرس الإمارات اتخاذ إجراءات مالية أكثر صرامة، بما فى ذلك تجميد الأصول الإيرانية داخل البلاد، بحسب ما أوردته الصحيفة، وقال شخص مطلع على تطور سياسة الإمارات تجاه المقيمين الإيرانيين إن جميع وسائل الضغط على إيران قيد الدراسة حاليًا.

وأضاف المسؤول أن السلطات ستعيد تقييم سياسات الإقامة للجاليات مثل الإيرانيين فى ضوء الهجمات التى طالت الاقتصاد خلال زمن الحرب.

وتداخلت المجتمعات الفارسية والعربية على جانبى مضيق هرمز على مدى قرون، ففى القرن التاسع عشر، سيطرت سلالة حاكمة مقرها فيما يُعرف اليوم بدولة الإمارات على أجزاء من الساحل الذى يُشكّل الآن إيران.

وجاءت الهجرة الإيرانية إلى ما يُعرف اليوم بالإمارات على عدة موجات؛ إذ قدم التجار إلى دبى فى القرن التاسع عشر، ثم وصل مسلمون متدينون فى عشرينيات القرن العشرين هربًا من سياسات علمنة البلاد التى انتهجها الشاه، بما فى ذلك حظر الحجاب، كما تدفّق إيرانيون علمانيون بأعداد كبيرة لاحقًا هربًا من الثورة الإسلامية فى أواخر سبعينيات القرن الماضي.

وحصل بعض المهاجرين الإيرانيين الأوائل على الجنسية الإماراتية عند تأسيس الدولة فى أوائل سبعينيات القرن العشرين. وتقول ميرا الحسين وهى زميلة باحثة بمركز الأمير الوليد بن طلال فى جامعة ايندبيرغ، إن أكثر من نصف المواطنين الإماراتيين تعود أصولهم إلى جنوب إيران.

أما مهاجرون آخرون فلم يستوفوا شروط الحصول على الجنسية، لكنهم استمروا فى العيش كمواطنين إيرانيين داخل الإمارات، وقد أقامت بعض العائلات فى البلاد لأجيال طويلة بموجب تأشيرات تُجدّد كل بضع سنوات وتعتمد على العمل أو ملكية العقارات.

وقالت الحسيني، وهى إماراتية من أصول فارسية: "هناك الكثير من الحساسيات السياسية المرتبطة بالأصول الفارسية، فالعائلات التى استقرت فى الإمارات منذ زمن طويل تفخر بذلك، بينما غيّر آخرون، خاصة الذين قدموا لاحقًا، أسماءهم خشية أن يُنظر إليهم على أنهم أصحاب ولاءات مزدوجة."

وتبلغ هذه التوترات الآن ذروتها، فقد ألغت السلطات تصاريح الإقامة للعديد من الإيرانيين المقيمين فى الإمارات الذين كانوا خارج البلاد أثناء الحرب، ما ترك طلابًا عالقين فى جامعات أمريكية ومسافرين محاصرين أثناء زيارات عائلية فى إيران.

كما أظهر إشعار صادر عن شركة طيران الامارات أن المواطنين الإيرانيين غير مسموح لهم بدخول البلاد أو العبور عبرها.

وقال صاحب وكالة سفر تقع بالقرب من مطعم "الأستاذ كباب الخاص"، والتى كانت تروّج لـ"رحلات إلى فارس"، إن نشاطه التجارى من إيران وإليها قد تلاشى، وأضاف أن الحكومة بدأت ترفض بشكل متزايد طلبات التأشيرة المقدّمة من الإيرانيين منذ اندلاع الحرب.

وبدا موقف السيارات فى مدرسة التوحيد الإيرانية للبنين فى دبى مهجورًا؛ إذ أزيلت اللافتات من على المبنى، ولم يبقَ سوى أثر باهت لاسم المدرسة على الواجهة، ورفرفت أربعة أعلام إماراتية فوق السطح فى نسيم بعد الظهر، بينما توقفت نحو عشرين حافلة مدرسية بجانب المجمع دون حركة.

وفى منطقة أخرى من المدينة، أُغلقت مداخل المستشفى الإيراني، بما فى ذلك قسم الطوارئ، وقال حارس أمن وحيد كان يتجول فى الموقع إن السلطات أغلقت المنشأة قبل نحو أسبوع، وأضاف أنه اضطر فى صباح اليوم التالى للإغلاق المفاجئ إلى إبعاد أطباء وممرضين حضروا دون علمهم بما جرى.

ولم تلقَ الاتصالات بالمستشفى، والنادى الإيراني، ومجلس الأعمال الإيرانى أى رد، كما تحولت الاتصالات بمدرسة سلمان الفارسى ومدرسة التوحيد الإيرانية إلى بريد صوتى يشير إلى انقطاع التيار الكهربائي.

وقال سيف ثابت، الذى انتقل إلى دبى قبل أكثر من عقدين من مدينة جراش الإيرانية، إنه سيُلغى رحلة كان يخطط لها إلى إيران لاحقًا هذا العام فى ظل الأوضاع الجديدة، ويمتلك جراش متجرين للبقالة فى دبي، مؤكدًا أن جذوره أصبحت راسخة فى المدينة، وأضاف مبتسمًا أن مصرفه اتصل به مؤخرًا للاطمئنان عليه، وقال: "الجميع هنا يعاملوننا بحفاوة"، وأضاف: "عائلتى هنا، وأعمالى هنا، وحياتى هنا".

وقال أحد المقيمين الإيرانيين إنه احتُجز من قبل الشرطة بعد أن أوقفه أحد الضباط وطلب منه إبراز هويته أثناء تجوله على الشاطئ، قبل أن يُفرج عنه لاحقًا بعد استجوابه، وأشار آخرون إلى أنهم يخشون الترحيل إذا انتقدوا الإمارات، كما يخشون فى الوقت نفسه أن تستهدف الجمهورية الإسلامية عائلاتهم إذا نددوا بإيران.

المستشفى الإيراني في دبي

وقال مشعل القرقاوي، وهو رجل أعمال وكاتب إماراتي: "ستترك الحرب أثرًا طويل الأمد ودائمًا"، وأضاف: "سيكون هناك تشكك تجاه أى شكل من أشكال التعايش مع النظام الإيراني"، وختم بالقول: "لقد خسرت إيران جارًا متسامحًا".

وول ستريت جورنال

مصادر استخبارية أمريكية:

إيران لن تخفف قبضتها على مضيق هرمز قريبا وفتحه قسرا مخاطرة

اشتباك في مضيق هرمز

ذكرت ثلاثة مصادر مطلعة أن تقارير مخابرات أمريكية صدرت مؤخرا حذرت من أن إيران من غير المرجح أن تفتح مضيق هرمز فى أى وقت قريب نظرا لأن إحكام قبضتها على هذا الشريان العالمى الحيوى يوفر لها ورقة الضغط الحقيقية الوحيدة على الولايات المتحدة.

ويشير هذا إلى أن طهران ربما تواصل إبقاء مضيق هرمز فى حكم المغلق لتظل أيضا أسعار الطاقة مرتفعة من بين سبل الضغط على الرئيس الأمريكى دونالد ترامب للتوصل لنهاية سريعة للحرب الدائرة منذ نحو خمسة أسابيع ولا تحظى بتأييد بين الأمريكيين.

وتتضمن التقارير أيضا أحدث مؤشر على أن الحرب التى اعتزمت محو القوة العسكرية الإيرانية ربما تسفر فى الحقيقة عن زيادة نفوذها فى المنطقة بإظهار قدرة إيران على تهديد ممر مائى رئيسي.

وسعى ترامب إلى التقليل من صعوبة إعادة فتح مضيق هرمز، الذى يمر عبره خُمس تجارة النفط العالمية. وبدا الجمعة وكأنه يلمح إلى أنه ربما يأمر القوات الأمريكية بإعادة فتح الممر.

وكتب على منصة تروث سوشال المملوكة له "مع قليل من الوقت الإضافي، يمكننا بسهولة فتح مضيق هرمز، والسيطرة على النفط، وتحقيق ثروة".

لكن محللين حذروا منذ فترة طويلة من أن محاولة استخدام القوة ضد إيران، التى تسيطر على أحد جانبى المضيق، ربما تكون مكلفة وقد تجر الولايات المتحدة إلى حرب برية طويلة الأمد.

وقال على واعظ، مدير مشروع إيران فى مجموعة الأزمات الدولية، وهى منظمة معنية بمنع النزاعات "فى محاولة لمنع إيران من تصنيع سلاح دمار شامل، منحت الولايات المتحدة إيران سلاح تعطيل شامل".

وأضاف واعظ أن طهران تدرك أن قدرتها على التأثير فى أسواق الطاقة العالمية من خلال قبضتها على المضيق "أشد فاعلية حتى من السلاح النووي".

وشهد موقف ترامب بشأن احتمال مشاركة الولايات المتحدة فى إعادة فتح المضيق تغيرا. فمن جهة، جعل إنهاء قبضة إيران على المضيق شرطا مسبقا لوقف إطلاق النار، لكنه من جهة أخرى دعا دول الخليج المعتمدة على إنتاج النفط والدول الأعضاء فى حلف شمال الأطلسى إلى تولى زمام المبادرة فى إعادة فتحه.

وقال مسؤول فى البيت الأبيض، طلب عدم نشر اسمه، إن ترامب "واثق من أن المضيق سيكون مفتوحا قريبا جدا"، وكان واضحا فى أن إيران لن يُسمح لها بتنظيم حركة الملاحة فى الممر المائى بعد الحرب.

لكن المسؤول أشار أيضا إلى أن ترامب قال إن دولا أخرى "لديها مصالح أكبر بكثير فى منع هذه النتيجة" مقارنة بالولايات المتحدة.

ولم ترد وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (سي.ي.إيه) بعد على طلب للتعليق.

إيران تُعرقل حركة الملاحة البحرية

استخدم الحرس الثورى الإيراني، الذى يفتقر إلى التسليح الكافي، تكتيكات مختلفة لجعل النقل التجارى عبر الممر المائى شديد الخطورة أو غير قابل للتأمين منذ أن شن ترامب ورئيس الوزراء الإسرائيلى بنيامين نتنياهو الحرب فى ٢٨ فبراير.

فمن مهاجمة السفن المدنية وزرع الألغام إلى فرض رسوم مرور، تمكنت إيران فعليا من عرقلة حركة الملاحة عبر المضيق، مما أدى إلى ارتفاع أسعار النفط العالمية إلى مستويات لم يشهدها منذ سنوات، وتسبب فى نقص الوقود فى الدول التى تعتمد على نفط وغاز الخليج.

ويهدد ارتفاع تكاليف الطاقة بتأجيج التضخم فى الولايات المتحدة، مما يشكل عبئا سياسيا على ترامب فى ظل تراجع شعبيته واستعداد حزبه الجمهورى لانتخابات التجديد النصفى للكونجرس فى نوفمبر تشرين الثاني.

وقالت ثلاثة مصادر إن أحدث التقارير المخابراتية تحذر من أن تخلى إيران عن هذه النفوذ غير وارد فى المستقبل القريب. وامتنعت هذه المصادر عن الإفصاح عن الجهات التى أصدرت هذه التقييمات.

وقال أحد المصادر "من المؤكد أن إيران، بعد أن ذاقت طعم قوتها ونفوذها على المضيق، لن تتخلى عنه بسهولة".

وطلب المصادر الثلاثة عدم الكشف عن هوياتها.

مخاطر العملية العسكرية

يقول عدد من الخبراء إن أى عملية عسكرية لإعادة فتح الممر المائى تنطوى على مخاطر كبيرة.

ويفصل الممر المائى بين إيران وسلطنة عمان. وبالرغم من أن عرضه لا يقل عن ٣٣ كيلومترا فى أضيق نقطة، فإن عرض المسار المخصص للشحن لا يتجاوز ثلاثة كيلومترات فى كلا الاتجاهين، مما يسهل استهداف السفن والقوات.

ويقول خبراء إنه حتى لو سيطرت القوات الأمريكية على الساحل والجزر الإيرانية فى الجنوب، فإن الحرس الثورى قادر على مهاجمتها والسيطرة على الممر المائى باستخدام طائرات مسيرة وصواريخ تطلق من عمق الأراضى الإيرانية.

وقال واعظ "تكفى طائرة مسيرة أو اثنتان لتعطيل حركة الملاحة وردع السفن عن المرور".

وقال بعض الخبراء إنه حتى بعد انتهاء الحرب، فإنهم يستبعدون أن تتخلى إيران عن قدرتها على التحكم فى حركة الملاحة عبر المضيق، لأنها ستحتاج إلى إعادة الإعمار، وسيكون فرض رسوم مرور على السفن التجارية أحد الوسائل لجمع الأموال اللازمة لإعادة الإعمار.

وقال مدير الوكالة السابق بيل بيرنز لمجلة فورين أفيرز يوم الخميس إن طهران "ستسعى للحفاظ على النفوذ الذى اقتنصته من خلال تعطيل حركة الملاحة" عبر المضيق.

وأضاف أن إيران ستسعى إلى استخدام قدرتها على التحكم فى الممر المائى لكسب "ضمانات ردع وتأمين طويلة الأمد" فى أى اتفاق سلام مع الولايات المتحدة، وللحصول على "بعض الفوائد المادية المباشرة" مثل فرض رسوم مرور لتمويل عملية إعادة الإعمار بعد الحرب.

وقال "ينذر هذا بأن المفاوضات ستكون صعبة للغاية فى الوقت الراهن".

رويترز

نصف منصّات إطلاق الصواريخ الإيرانية والمسيرات وصواريخ كروز ماتزال سليمة

مواقع إطلاق صواريخ سرية تحت الأرض

صاروخ فاتح الإيراني

قالت شبكة CNN الإخبارية الأمريكية أن ما يقرب من نصف منصّات إطلاق الصواريخ الإيرانية ما تزال سليمة، وأن آلاف الطائرات المسيّرة الهجومية أحادية الاتجاه لا تزال ضمن ترسانة إيران، رغم القصف اليومى الذى تنفذه الولايات المتحدة وإسرائيل على أهداف عسكرية خلال الأسابيع الخمسة الماضية، وذلك وفقًا لتقييمات استخباراتية أمريكية حديثة، بحسب ما أفادت ثلاثة مصادر مطلعة على المعلومات للشبكة.

وقال أحد هذه المصادر عن إيران: "إنها لا تزال فى وضع يمكّنها من إحداث دمار هائل فى مختلف أنحاء المنطقة". وقد يشمل إجمالى التقييم الاستخباراتى الأمريكى منصّات إطلاق يصعب الوصول إليها حاليًا، مثل تلك المدفونة تحت الأرض نتيجة الضربات لكنها لم تُدمّر.

وأشار مصدران إلى أن آلاف الطائرات المسيّرة الإيرانية لا تزال موجودة، أى ما يقارب ٥٠٪ من قدرات البلاد فى هذا المجال، وفقًا لما أظهرته المعلومات الاستخباراتية. كما بيّنت هذه المعلومات، التى جُمعت خلال الأيام الأخيرة، أن نسبة كبيرة من صواريخ كروز الدفاعية الساحلية الإيرانية لا تزال سليمة، وهو ما يتماشى مع عدم تركيز الحملة الجوية الأمريكية على الأصول العسكرية الساحلية، رغم استهدافها لبعض السفن.

وتُعد هذه الصواريخ قدرة رئيسية تمكّن إيران من تهديد حركة الملاحة فى مضيق هرمز. وتقدّم هذه المعلومات الاستخباراتية صورة أكثر دقة وتعقيدًا لقدرات إيران المستمرة، مقارنة بالتقييمات الشاملة للنصر العسكرى التى أعلنها علنًا دونالد ترمب ومسؤولون فى إدارته.

وقال ترامب فى خطاب ألقاه مساء الأربعاء، إن "قدرة إيران على إطلاق الصواريخ والطائرات المسيّرة تقلّصت بشكل كبير، وإن مصانع الأسلحة ومنصّات إطلاق الصواريخ تُدمّر بالكامل، ولم يتبقّ منها سوى القليل جدًا".

ونفّذت الولايات المتحدة أكثر من ١٢،٣٠٠ ضربة داخل إيران حتى يوم الأربعاء، وفقًا للقيادة المركزية الأمريكية. وأشارَت المصادر إلى أن المعلومات الاستخباراتية تُظهر أن الجيش الأمريكى أضعف قدرات إيران العسكرية، وقُتل عدد من كبار القادة فى الضربات الأمريكية والإسرائيلية. ولا تزال إيران تحتفظ بعدد كبير من الصواريخ، بحسب المعلومات الاستخباراتية.

وركّزت وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) فى تصريحات علنية، على انخفاض العدد الإجمالى للصواريخ التى أطلقتها إيران، بدلًا من عدد ما جرى تدميره. وقال وزير الدفاع بيت هكسيث خلال مؤتمر صحفى فى ١٩ مارس إن "الهجمات بالصواريخ الباليستية ضد قواتنا انخفضت بنسبة ٩٠٪ منذ بداية النزاع، وكذلك الحال بالنسبة للطائرات المسيّرة الهجومية أحادية الاتجاه، ما يُعرف بطائرات الكاميكازي، إذ انخفضت بنسبة ٩٠٪".

وقالت المتحدثة باسم البيت الأبيض آنا كيلى ردًا على أسئلة طُرحت فى سياق هذا التقرير، إنّ "المصادر المجهولة تسعى بيأس إلى مهاجمة الرئيس ترامب والحطّ من العمل الاستثنائى الذى تقوم به قواتنا المسلحة فى تحقيق أهداف عملية الغضب الملحمي". وأضافت: "إليكم الحقائق: الهجمات الإيرانية بالصواريخ الباليستية والطائرات المسيّرة انخفضت بنسبة ٩٠ فى المئة، وبحريتهم مُسحت بالكامل، وثلثا منشآتهم الإنتاجية تضرّر أو دُمّر، والولايات المتحدة وإسرائيل تتمتعان بتفوّق جوى كاسح فوق إيران.

أضافت كيلي قائلة: "النظام الإرهابي يتعرّض للتدمير عسكرياً، ووضعه البائس يزداد سوءاً يوماً بعد يوم — وأمله الوحيد هو التوصل إلى اتفاق مع إدارة الرئيس ترامب والتخلّى نهائياً عن طموحاته النووية وإلا فسيتعرّض لضربات أقسى من أى وقت مضى". وأضاف مسؤول فى الإدارة أنّ الصواريخ الباليستية الإيرانية يجرى تدميرها بوتيرة سريعة.

CNN

قالت العرب

لكنني لما وقفتُ شاردًا على حدود الموتْ | رأيتُ أمي تغسلُ
الهواءَ دون صوتْ | وتكتفي بأنْ تشيرَ لي: اجلسْ هنا على
أرجوحةِ الهواءْ | اجلسْ كأنكَ المطرْ | لكنني انطويتْ

الشهد

العدد 349 – السنة الرابعة عشرة-الأربعاء 1 أبريل 2026 م – 13 شوال 1447 هـ

بعد إقرار قانون إعدام الفلسطينيين في الضفة الغربية

تحذير دولي وعربي من تصعيد خطير تجاه أسرى النضال الفلسطيني

أسرى فلسطينيون في قبضة المحتل

قوات أمن الاحتلال الإسرائيلي تعتقل متظاهرة خلال تجمع خارج الكنيست

يرسخ نظام فصل عنصري ويتبنّى نهجا إقصائياً ينكر الحقوق غير القابلة للتصرف لشعب تحت الاحتلال

أدان وزراء خارجية جمهورية مصر العربية والمملكة الأردنية الهاشمية ودولة الإمارات العربية المتحدة وجمهورية إندونيسيا وجمهورية باكستان الإسلامية والجمهورية التركية والمملكة العربية السعودية ودولة قطر، بأشد العبارات سن سلطات الاحتلال الإسرائيلي لقانون صادق عليه الكنيست يجيز فرض عقوبة الإعدام في الضفة الغربية المحتلة ويطبقها بشكل فعلي بحق الفلسطينيين.

وحذّر الوزراء من الإجراءات الإسرائيلية المستمرة، التي ترسّخ نظام فصل عنصري وتتبنّى خطاباً إقصائياً ينكر الحقوق غير القابلة للتصرف للشعب الفلسطيني ووجوده في الأرض الفلسطينية المحتلة.

وأكد الوزراء أن هذا التشريع يشكّل تصعيداً خطيراً، لا سيما في ظل تطبيقه التمييزي بحق الأسرى الفلسطينيين، مشددين على أن مثل هذه الإجراءات من شأنها تأجيج التوترات وتقويض الاستقرار الإقليمي.

وأعرب الوزراء كذلك عن بالغ القلق إزاء أوضاع الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، محذرين من تزايد المخاطر في ظل تقارير موثوقة عن انتهاكات مستمرة، بما في ذلك التعذيب، والمعاملة القاسية واللاإنسانية والمهينة، والتجويع، وحرمانهم من حقوقهم الأساسية، مؤكدين أن هذه الممارسات تعكس نهجا أوسع من الانتهاكات بحق الشعب الفلسطيني.

وجدد الوزراء رفضهم للسياسات الإسرائيلية القائمة على التمييز العنصري والقمع والعدوان، والتي تستهدف الشعب الفلسطيني.

وشدّد الوزراء على ضرورة الامتناع عن الإجراءات التي تفرضها سلطة الاحتلال الإسرائيلي والتي من شأنها تأجيج التوترات، مؤكدين أهمية ضمان المساءلة، وداعين إلى تكثيف الجهود الدولية للحفاظ على الاستقرار ومنع المزيد من التدهور.

وأقر الكنيست الإسرائيلي بتاريخ ٣٠ مارس/آذار ٢٠٢٦ قانونا تمت تسميته "قانون عقوبة الإعدام للإرهابيين"، بهدف توقيع عقوبة الإعدام شنقاً في سياق ما أسماه "الجرائم الإرهابية"، مع التركيز على الفلسطينيين في المحاكم المدنية الجنائية بالداخل الإسرائيلي أو المحاكم العسكرية بالأراضي المحتلة بالضفة الغربية وغزة. وقد تم إقرار ذلك القانون بأغلبية ٦٢ صوتًا مقابل ٤٨ وامتناع عضو واحد، في قراءتيه الثانية والثالثة. وكان مشروع القانون قد قدمه حزب "القوة اليهودية" اليميني المتطرف بقيادة وزير الأمن القومي إيتمار بن غفير الذي احتفل بالتصويت مرتديًا شارة على شكل حبل مشنقة، مردداً أن "من يأخذ حياة سيفقد حياته".

يُعد هذا التشريع الأول من نوعه الذي يوسع نطاق عقوبة الإعدام بشكل صريح غير مسبوق، ويعيد فتح ملف عقوبة الإعدام التاريخي المعقّد الذي يعود إلى فترة الانتداب البريطاني قبل إعلان قيام إسرائيل. فعلى الرغم من عدم إلغاء عقوبة الإعدام بشكل كامل في إسرائيل، ظلت هذه العقوبة في حكم الملغاة فعلياً لعقود طويلة، إذ لم تُنفذ إسرائيل سوى إعدامين قضائيين فقط في تاريخها، كما يفتح ذلك القانون الباب لتمييز قانوني مزدوج بين الفلسطينيين والإسرائيليين، دون وجه حق.

نصوص القانون وآليات تطبيقه

يعتبر القانون بمثابة تعديل لقانون مكافحة الإرهاب رقم ٥٧٧٥ لسنة ٢٠١٦، حيث يرتبط تعريف الإرهاب الوارد بذلك القانون ارتباطاً وثيقاً بالقانون السابق، الذي منح المحاكم العسكرية بالأراضي المحتلة بالضفة الغربية وغزة توقيع عقوبة الإعدام شنقاً على "سكان المنطقة" من الفلسطينيين فقط، دون المواطنين أو المقيمين الإسرائيليين، الذين تتم إدانتهم بجرائم القتل العمد ضمن "عمل إرهابي"، ويجوز إبدال عقوبة الإعدام بعقوبة السجن مدى الحياة في "ظروف وحالات خاصة" لم يحددها القانون ولم تعرف بوضوح في نصوصه، ويتم ذلك بموجب طلب كتابي يقدم لهيئة المحكمة مباشرة، دون الحاجة لتقديم طلب للنيابة العامة.

ووفقاً لأحكام هذا القانون، يصدر الحكم بالإعدام بالأغلبية البسيطة لقضاة المحكمة (٥٠+١) بدلاً من الإجماع. ويتم تنفيذ حكم الإعدام خلال ٩٠ يوماً (قابلة للتأجيل حتى ١٨٠ يوماً بموافقة من رئيس مجلس الوزراء)، وقد جعل القانون ذلك الحكم غير قابل للطعن عليه أمام أية محكمة، كما حظر الإفراج عن المحكوم عليه تنفيذاً لأحكام هذا القانون، بأية ضمانة أو كفالة مالية، كما حظر إصدار قرار بالعفو عن هذه العقوبة.

أما بالنسبة للمحاكم المدنية في الداخل الإسرائيلي فيمنح القانون المحكمة الحق في توقيع عقوبة الإعدام أو السجن مدى الحياة على الفلسطينيين والإسرائيليين، ممن تتم إدانتهم بجرائم تتسبب عمداً في موت شخص بقصد "إنكار أو عدم الاعتراف بحق دولة إسرائيل في الوجود" وهو توصيف قانوني مبهم، يُعتقد أنه صيغ بهذا الأسلوب لجعل تطبيقه عملياً مقتصر حصرياً على الفلسطينيين دون الإسرائيليين حتى يتم استبعاد الجرائم المقترنة "بالإرهاب اليهودي" بسبب صعوبة عبء الإثبات الإيديولوجي لهذه الحالات، ويرى بعض خبراء القانون الإسرائيلي أن النص بهذه الصياغة يساعد في خلق نظام قضائي مزدوج، ويُعزز من "الفصل العنصري المقنّن".

الإعدام في إسرائيل

ورث النظام القانوني الإسرائيلي عقوبة الإعدام من القوانين التي كان معمولاً بها خلال فترة الانتداب البريطاني قبل قيام إسرائيل عام ١٩٤٨، والتي سمحت بتطبيق عقوبة الإعدام في جرائم مختلفة مثل استخدام المتفجرات والعضوية في منظمات مسلحة، وبعد قيام إسرائيل حاولت تبني توجهاً ليبرالياً لتعزيز صورتها الدولية، فألغت عقوبة الإعدام في الجرائم العادية بموجب تعديل قانون العقوبات عام ١٩٥٤، وأبقت عقوبة الإعدام محصورة في جرائم استثنائية، مثل ما تمت تسميته "جرائم ضد الشعب اليهودي"، والخيانة في زمن الحرب، والتجسس، والتعاون مع العدو.

لذلك شهدت إسرائيل في تاريخها إعدامين فقط بموجب أحكام قضائية، الأول، الضابط الإسرائيلي، مائير توبيانسكي (١٩٤٨) بتهمة التجسس في محكمة عسكرية (ثبتت براءته لاحقا بعد إعدامه)، والثاني الضابط الألماني النازي، أدولف أيخمان (١٩٦٢) والذي ألقي القبض عليه واختُطف من الأرجنتين وتمت محاكمته في إسرائيل بموجب قانون الإبادة، وعلى الرغم من صدور الكثير من أحكام الإعدام لاحقاً، فإن هذه الأحكام إما تم الطعن عليها أمام المحكمة العليا وقامت بإلغائها وتخفيف العقوبة، وإما أن رئيس الدولة أصدر قراراً بالعفو، ومن ثم لم يُنفذ أي حكم إعدام آخر صادر من محكمة مدنية. ومع صعود اليمين المتطرف، تقدمت عدة مشاريع قوانين في ٢٠١٨ وما بعدها، وأدرج الالتزام بتشريع الإعدام ضمن اتفاق الائتلاف الحزبي بين حزب "الليكود" وحزب "القوة اليهودية" عام ٢٠٢٢، لذلك فإن القانون الجديد يعتبر ثمرة هذا التطور.

سريان القانون

نص القانون على سريانه بأثر فوري اعتباراً من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية الإسرائيلية "رَيشوموت" (Reshumot) في ٣٠ مارس ٢٠٢٦ دون أية إشارة لإمكانية السريان بأثر رجعي، وهو أمر طبيعي، عملاً بمبدأ عدم رجعية القوانين الجنائية، بحيث لا يطبق القانون على وقائع سابقة لصدوره، إلا إذا تم النص على ذلك صراحة، وهو مبدأ يحميه القانون الدستوري الإسرائيلي خاصة القانون الأساسي الصادر عام ١٩٩٢ بشأن كرامة الإنسان وحريته، على الرغم من أنه وأثناء مناقشة مشروع القانون في الكنيست، والتي استمرت لمدة ١٢ ساعة، طرح بعض النواب إمكانية تطبيق القانون بأثر رجعي، وتضمين الفترة الزمنية الممتدة من ٧ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٢٣ حتى تاريخ إقرار القانون ضمن فترة سريان القانون، نظراً لأهميتها وجسامتها من وجهة نظرهم، إلا أنه تم رفض هذا المقترح.

لا يوجد في النظام القانوني الإسرائيلي محكمة دستورية منفصلة متخصصة، وتُعد المحكمة العليا الإسرائيلية، هي الجهة الدستورية الوحيدة المخولة بالرقابة على دستورية القوانين

وعلى الرغم من اقتصار تطبيق القانون من حيث الزمان على التطبيق الفوري، فإنه، ونظرا للظروف الإقليمية الحالية وما يترتب عليها من توتر عسكري وأمني مستمر بالضفة الغربية وغزة؛ قد يؤدي ذلك إلى التوسع في إصدار أحكام الإدانة من المحاكم العسكرية تحديدا، لا سيما مع تقليل ضمانات توقيع عقوبة الإعدام مثل عدم الحاجة لإجماع قضاة المحكمة، والاكتفاء بصدور الحكم بأغلبيتهم، بالإضافة لعدم قابلية الأحكام للطعن عليها، ولذلك يرى كثير من خبراء القانون الجنائي أن الهدف الحقيقي من القانون هو "الردع المستقبلي" أكثر من معاقبة أحداث الماضي، بحيث يُستخدم في قضايا جديدة لتعزيز الضغط على المقاومة الفلسطينية.

يرى كثير من الخبراء الدستوريين أن القانون يشوبه عوار دستوري جسيم، خاصة المخالفات الفجة للقانون الأساسي الصادر عام ١٩٩٢ بشأن كرامة الإنسان وحريته، الذي يشكل أحد أعمدة النظام الدستوري الإسرائيلي ويحمي الحق في الحياة والكرامة الإنسانية كقيمة عليا- نظرياً على الأقل- لا تُنتهك إلا في حدود القانون، حيث ينص القانون الأساسي على أنه "لا تُنتهك حياة الإنسان أو جسده أو كرامته"، ويُستمد منه مبدأ المساواة كجزء لا يتجزأ من الكرامة، ومن ثم فإن القانون يكون قد خلق تمييزا دون مبرر عندما نص على عقوبة الإعدام شنقًا كعقوبة في المحاكم العسكرية بالأراضي المحتلة بالضفة الغربية وغزة على الفلسطينيين فقط المدانين بقتل عمدي في "عمل إرهابي"، بينما منح المحكمة إمكانية توقيع عقوبة السجن مدى الحياة في المحاكم المدنية للإسرائيليين دون الفلسطينيين.

كذلك اشتراط إثبات "القصد الجنائي لنفي أو عدم الاعتراف بحق دولة إسرائيل في الوجود"، وهو شرط يصعب تطبيقه على "الإرهاب اليهودي" الذي قد يمارسه بعض الإسرائيليين، هذا التمييز العرقي/ الديني/ الوطني يخالف مبدأ المساواة ويُرسخ لنظام قضائي مزدوج. فضلاً عن انتهاك كثير من الضمانات الإجرائية؛ مثل إلغاء إجماع القضاة، وتسريع التنفيذ خلال ٩٠ يوماً، وعدم إمكانية الطعن على الحكم والحد من إمكانية العفو أو التخفيف، مما يُضعف حق الدفاع ويجعل العقوبة تعسفية وقاسية، بالمخالفة للقواعد والأعراف الدستورية.

تمييز صارخ

ويُشكل القانون مخالفة واضحة لاتفاقيات جنيف، خاصة اتفاقية جنيف الرابعة المتعلقة بحماية المدنيين في وقت الحرب، بحسبان أن إسرائيل قوة احتلال في الضفة الغربية وقطاع غزة، ومن ثم يخضع سكانها للحماية بموجب المادة ٦٨ من الاتفاقية، التي تحظر فرض عقوبة الإعدام على المدنيين المحميين إلا في حالات استثنائية ضيقة جداً مع ضمانات إجرائية صارمة.

فضلاً عن ترسيخه تمييزاً صارخاً بين حالة الفلسطينيين في المحاكم العسكرية، والإسرائيليين في المحاكم المدنية، بالمخالفة لمبدأ عدم التمييز، لذلك وصف المفوض السامي للأمم المتحدة لحقوق الإنسان، فولكر تورك، تطبيقه على سكان الأراضي المحتلة بأنه "جريمة حرب"، بينما اعتبرته السلطة الفلسطينية، ومنظمتا "هيومان رايتس ووتش"، و"العفو الدولية" انتهاكًا للقانون الدولي الإنساني.

وبعد ساعات قليلة من إقرار "قانون عقوبة الإعدام للإرهابيين" في ٣٠ مارس ٢٠٢٦، بدأت عدة جهات حقوقية وقانونية بالفعل في اللجوء إليها، وأبرزها مركز "عدالة" (المركز القانوني لحماية حقوق الأقلية العربية في إسرائيل)، وعدة منظمات حقوقية أخرى، بالإضافة إلى مجموعة من أعضاء الكنيست عن عرب ١٩٤٨ حيث قُدّمَت عدة التماسات وعرائض للمحكمة، طلبوا فيها إلغاء القانون لمخالفته القوانين الأساسية.

في ٣١ مارس ٢٠٢٦ أمرت المحكمة العليا الحكومة الإسرائيلية بالرد على هذه الدعاوى قبل ٢٤ مايو/أيار ٢٠٢٦، مع إصدار أمر احترازي مؤقت بهذا الشأن

على الصعيد الدولي، من الممكن مواجهة القانون بعدة طرق، فعلى الرغم من عدم إمكانية اللجوء إلى محكمة العدل الدولية وفقاً "للاختصاص التنازعي"، وهو الفصل في النزاعات القانونية بين الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، حيث يتطلب ذلك الاختصاص موافقة أطراف النزاع على عرضه أمام المحكمة، وهو ما لن تقبله إسرائيل بطبيعة الحال، فإنه من الممكن اللجوء إلى المحكمة وفقاً للاختصاص الاستشاري، بحيث يمكن لدولة فلسطين أو أي دولة من الدول الأعضاء مثل جنوب أفريقيا أو أسبانيا مثلا تقديم طلب رأي استشاري من الجمعية العامة للأمم المتحدة أمام المحكمة.

كذلك من الممكن أن يُحال الأمر إلى المحكمة الجنائية الدولية؛ إذا اعتُبر القانون من قبيل "جرائم الحرب"، وفقاً للمادة ٨ من نظام روما واتفاقيات جنيف، مما قد يعرض مسؤولين إسرائيليين للمساءلة، وبالإضافة إلى هذا، يمكن تقديم بلاغات إلى المقرر الخاص للأمم المتحدة بحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة، أو إلى مجلس حقوق الإنسان، أو اللجنة الأممية لحقوق الإنسان، وهذه الوسائل الدولية تُعزز الضغط على إسرائيل وتكمل الطعون الداخلية، مما يجعل مصير القانون مرهونا بمواجهة قضائية مزدوجة داخلية ودولية.

هيباتيا موسي

دول الخليج مستعدة لترامب إذا قرر خيانتها من جديد

ترامب وزعماء الخليج

كان القادة العرب الذين دعموا رئاسة دونالد ترامب يدركون دائمًا أنه متقلّب، لكن تقلباته الأخيرة بشأن إيران تثير قلقًا شديدًا فى عواصم الخليج. فقد هدّد ترامب هذا الأسبوع، بإبادة منشآت الطاقة وتحلية المياه فى إيران، وهو ما قد يستدعى ردًا انتقاميًا ضد منشآت مماثلة فى دول الخليج، ثم أشار إلى أنه قد يتراجع عن الحرب، تاركا طهران تسيطر على مضيق هرمز، فيما تضطر إيران وجيرانها العرب، إلى جانب قوى غربية مثل بريطانيا، للتعامل مع الفوضى الناتجة.

إن إنهاء فورى للحرب التى تدخل الآن شهرها الثانى سيكون موضع ترحيب من دولتين خليجيتين، هما قطر وعُمان، فالدولتان تعتقدان أن النظام الإيرانى سيبقى، وعليهما التكيف مع التعايش معه مجددًا. أما السعودية والإمارات، فقد ضغطتا على ترامب لإضعاف النظام بشكل أكبر قبل إنهاء الحرب، وهما لا تريدان أن يخرج النظام أكثر قوة، محققًا انتصارًا استراتيجيًا على الولايات المتحدة وإسرائيل، بعد أن شنّ هجمات على الخليج بمئات الطائرات المسيّرة والصواريخ.

وتقول آنا جاكوبس، الزميلة غير المقيمة فى معهد دول الخليج العربية: "إنه بالفعل سيناريو كارثى لحلفاء الخليج، وستصل ثقتهم بالولايات المتحدة إلى الحضيض. لقد وُضع حلفاء الخليج فى موقف مستحيل بسبب حرب الولايات المتحدة وإسرائيل على إيران، وهم الآن سيواجهون تحديات طويلة الأمد أكبر".

وقد يغيّر ترامب رأيه مرة أخرى بحلول نهاية الأسبوع، لكن تقلبه، وتصريحاته التى تزداد اضطرابًا، جعلت الحلفاء فى حالة قلق.

يوم الثلاثاء، قال ترامب إن على بريطانيا وغيرها من الدول التى تعتمد على المنطقة فى الطاقة أن "تُظهر شجاعة مؤجلة، وتذهب إلى المضيق، وتستولى عليه ببساطة".

وفى الوقت نفسه، قامت الولايات المتحدة بحشد قوات فى المنطقة لاحتمال تنفيذ غزو بري، وهو ما يقول محللون إنه من غير المرجح أن يردع إيران أو يجبرها على فتح الممر المائى الحيوي.

وقال بيت هيغسث، وزير الحرب الأمريكي، إن نشرَ القوات البرية لا يعنى بالضرورة استخدامها داخل إيران، مضيفًا أن "الهدف هو أن نكون غير متوقعين".

وذكرت صحيفة وول ستريت جورنال أن ترامب أخبر مساعديه بشكل خاص أنه يريد إنهاء الحرب قريبًا، لكن هيغسث قال إن الحرب قد تستمر "من أربعةَ إلى ثمانية أسابيع، أو أى مدة أخرى".

وأعرب مصدر خليجى عن خوفه من أن يمل ترامب من الصراع ببساطة، كما فعل العام الماضى عندما شنّ حربًا على الحوثيين المدعومين من إيران فى اليمن، مهددًا بإبادتهم، وقد أنهى تلك الحرب فجأة، معلنًا النصر لكنه ترك الجماعة قائمة.

وقالت جاكوبس: "إن العلاقات القوية مع الولايات المتحدة تمثل ضرورة استراتيجية لدول الخليج، لكن جميعها تفكر مرتين بالتأكيد قبل أن تعهد بأمنها إلى إدارة ترامب".

أصبحت إيران الآن أكثر نزعة عسكرية من أى وقت مضى، وقد تجاوزت خطوطا حمراء مع جيرانها، مثل قصف منشآتهم النفطية والبنية التحتية المدنية، مما يجعل التوصل إلى اتفاق بينها وبينهم أمرًا مستحيلًا على المدى القريب. وقد يأمل قادة الخليج أن ترامب لا يعنى ما يقوله.

وقال مهدى غلوم، وهو محلل بحرينى وزميل شاب فى مركز أوبزرفر للأبحاث فى الشرق الأوسط، إن الولايات المتحدة قد تشير إلى أنها تريد دعمًا دوليًا أكبر لإعادة حرية الملاحة فى مضيق هرمز، بدلًا من رفضها القاطع القيام بدورها.

وأضاف: "لقد رأينا بالفعل فى الخليج بعض الدول، بما فى ذلك الإمارات والبحرين، تتبنى نهجًا أكثر استباقية بالتعاون مع شركاء دوليين، بما فى ذلك العمل على قرار فى الأمم المتحدة"، كما قالت الإمارات إنها ستكون مستعدة للانضمام إلى تحالف من أجل تأمين المضيق.

وفى كلتا الحالتين، فإن الولايات المتحدة وإسرائيل، اللتين بدأتا الحرب فى نهاية فبراير على أمل إحداث تغيير فى النظام الإيراني، قد تركتا الخليج دون خيارات جيدة. وحتى لو استمرت الحرب، فلا يوجد دليل على أن آلاف الضربات الجوية أو غزو برى محتمل سيوقفان إيران عن إطلاق الصواريخ والطائرات المسيّرة التى تهدد بتدمير اقتصادات المنطقة، مع زيادة التضخم فى أنحاء العالم.

التايمز البريطانية

حرب إيران تعيد أموال الخليج إلى البنوك السويسرية

بنك سويسري

رغم ابتعاد بعض البنوك السويسرية الكشف عن حجم التحويلات للأموال الخليجية إلى مصارفها، إلا أن هناك مؤشرات باتت واضحة لهذا الاتجاه ويقول باتريك أكيكي، مسؤول سوق الخدمات المالية فى شركة "برايس ووتر هاوس كوبرز" (PwC)، سويسرا: "عمليات تحويل الأموال جارية بالفعل". ولكنه يستدرك قائلًا إنّها تستغرق وقتًا، "فقد تغيّرت القيود التنظيمية، وأصبحنا أكثر صرامة. كما ينبغى على البنوك السويسرية التحقّق من امتثال كل عملية قبل تحويل الأموال".

وتعيد الحرب فى إيران رسم خريطة الثقة المالية فى المنطقة، مجدّدة الاهتمام بالمركز المالى السويسري، ودافعةً بعضَ الأموال الخليجية إلى سويسرا. وقد بدأ بعض العملاء بالفعل فى تحويل أموالهم، بل يفكر بعضهم حتى فى نقل إقامتهم، فى وقت يؤثر فيه النزاع على منطقة كانت تروّج لاستقرار اقتصادى ومالي.

وتؤكد مصادر مالية أنه فى الوقت الذى تدخل فيه الحرب بين إيران من جهة وأمريكا وإسرائيل من جهة أسبوعها الخامس، وفى هذه المرحلة، لا يمكن الحديث عن موجة نزوح واسعة لرؤوس الأموال، غير أنّ المؤشرات باتت أكثر وضوحًا.

ويستند أكيكى فى تقييمه إلى نقاشات أجراها مع عدد من البنوك، ويوافقه الرأى غيره من المستشارين فى الأمور المالية، أمّا رسميًا، فتلتزم معظم البنوك الصمت، مفضّلةً التحفّظ، ربما تفاديًا للظهور بمظهر المستفيد من وضع حساس.

كما تتجنب البنوك التعليق على اتجاهٍ آخر آخذ بالظهور. فقد بدأ بعض الأثرياء، الذين استقروا فى دبى وفى سائر الإمارات خلال السنوات الماضية، إعادة النظر فى خياراتهم. فهم لا يسعون فقط إلى حماية أموالهم، بل حماية أرواحهم أيضًا.

وتُعدّ سويسرا بالفعل وجهة محورية لعملاء الخليج، ووفق تقديرات شركة "ديلويت" (Deloitte)، فإن نحو ربع الثروات المُدارة فى سويسرا يأتى من الخليج، وفى ظلّ الأوضاع الراهنة، يبدو أن جاذبية بلد الألب آخذة فى الازدياد.

امال راتيب

قانون إعدام الأسرى

تشريع عنصري

بقلم: د. محمد فاروق مهنى

أقرّ الكنيست الإسرائيلي، فى خطوة أثارت صدمة واسعة، قانونًا يقضى بإعدام الأسرى الفلسطينيين، فى تصعيد خطير يعكس بشكل واضح جلى طبيعة النظام السياسى والقانونى فى إسرائيل، ويطرح تساؤلات جوهرية حول مستقبل حقوق الإنسان فى المنطقة.

جاء إقرار القانون بعد تصويت حاسم داخل الكنيست، حيث صوّت ٦٢ نائبًا لصالحه مقابل ٤٧ معارضًا، فى دلالة واضحة على الطبيعة العنصرية الصهونية للمجتمع الاسرائيلى وهيمنة التيار اليمينى المتطرف داخل المؤسسة التشريعية الإسرائيلية.

وينص القانون على: تطبيق عقوبة الإعدام على الأسرى الفلسطينيين المتهمين بتنفيذ عمليات ضد إسرائيليين، تنفيذ الحكم خلال مدة تصل إلى ٩٠ يومًا، حرمان المحكوم من طلب العفو أو تخفيف الحكم ، منح المحاكم العسكرية صلاحيات واسعة، خاصة فى الضفة الغربية، الأخطر من ذلك أن القانون يتضمن تمييزًا واضحًا فى التطبيق، إذ يستهدف الفلسطينيين تحديدًا، دون أن يشمل الإسرائيليين الذين يرتكبون جرائم مماثلة.

الطبيعة العنصرية واللا إنسانية للتشريع:

لا يمكن قراءة هذا القانون بمعزل عن السياق السياسى والأيديولوجى الذى أنتجه. فهو: يقوم على تمييز قانونى قائم على الهوية القومية، وهو ما يرقى إلى نمط من الفصل العنصرى المقنن، يُشرّع القتل كأداة ردع، رغم غياب أى دليل على فعالية عقوبة الإعدام فى تقليل الجرائم .

يأتى فى ظل واقع موثق من الانتهاكات داخل السجون، حيث تشير تقارير إلى وفاة أكثر من ١٠٠ أسير نتيجة التعذيب أو الإهمال الطبى ، كما أن رفع رمزية "المشنقة" داخل الكنيست من قبل مؤيدى القانون يعكس نزعة انتقامية أكثر منها قانونية، إضافة الى مظاهر الاحتفال التى اعقبت اقرار القانون، يؤكد أن الهدف ليس العدالة بل الردع السياسى والعقاب الجماعي.

تعارض صارخ مع القانون الدولى وحقوق الأسرى

يتناقض هذا القانون مع عدد من المبادئ الأساسية فى القانون الدولي، أبرزها:

الحق فى الحياة: يُعد الحق فى الحياة من الحقوق الأساسية غير القابلة للتصرف، والمكفولة فى العهد الدولى الخاص بالحقوق المدنية والسياسية.

اتفاقيات جنيف: تحظر إصدار أحكام إعدام دون ضمانات محاكمة عادلة صارمة، خاصة فى حالات الاحتلال.

مبدأ عدم التمييز: القانون ينتهك هذا المبدأ بشكل مباشر، إذ يطبّق العقوبة على فئة محددة (الفلسطينيين) دون غيرهم.

التوجه الدولي: هناك اتجاه عالمى واضح نحو إلغاء عقوبة الإعدام، بينما يأتى هذا القانون كخطوة رجعية تناقض هذا المسار، وقد وصف خبراء أمميون القانون بأنه يحتوى على تعريفات "غامضة" للإرهاب، ما يفتح الباب أمام إعدامات تعسفية.

أمام هذا التصعيد، يصبح دور المجتمع الدولى حاسمًا، ويتمثل في: فرض عقوبات سياسية وقانونية على إسرائيل لخرقها التزاماتها الدولية، اللجوء إلى المحكمة الجنائية الدولية لمحاسبة المسؤولين عن تشريعات قد ترقى إلى جرائم حرب تفعيل آليات الأمم المتحدة، خاصة مجلس حقوق الإنسان، الضغط لوقف العمل بالقانون وربطه بالعلاقات الاقتصادية والدبلوماسية وقد بدأت بالفعل مؤشرات رفض دولي، حيث انتقدت دول أوروبية القانون واعتبرته تقويضًا للمبادئ الديمقراطية.

النظام العربي... العجز المزمن

فى لحظة إقليمية شديدة الاضطراب، ومع تصاعد الضربات العسكرية الأمريكية الإسرائيلية على إيران وما تفرضه من اختلالات إضافية فى موازين القوة، تتكشف هشاشة النظام العربى على نحو أكثر فجاجة. فبدل أن تدفع هذه التطورات نحو بلورة موقف عربى موحد يحصّن المنطقة ويخفف من ضغوط الاستقطاب الدولي، نرى العكس تمامًا: تشتتًا سياسيًا وغيابا شبه كامل لأى استراتيجية جماعية قادرة على حماية المصالح العربية أو حتى الدفاع عن الحد الأدنى من القضايا المركزية.

هذا الواقع لا يقتصر على العجز التقليدى فى مواجهة السياسات الإسرائيلية، بل يتعمق مع كل أزمة إقليمية جديدة، حيث تكتفى معظم الدول العربية بدور المتلقى للضغوط، لا الفاعل فى صياغة التوازنات. وفى ظل التصعيد الامنى بمنطقة الخليج تحت وطأة الضربات العسكرية الامريكية الاسرائيلية على ايران، تتزايد الضغوط الأمنية والاقتصادية على الدول العربية، بينما تغيب أى مقاربة موحدة لاحتواء التداعيات أو توظيفها سياسيًا. النتيجة: فراغ استراتيجى عربى يُملأ من قبل قوى إقليمية ودولية، على حساب الأمن القومى العربى ذاته.

وفى هذا السياق، يصبح تمرير تشريعات إسرائيلية خطيرة، كقانون إعدام الأسرى الفلسطينيين، نتيجة طبيعية لهذا الوهن. فهذا القانون لا يمثل مجرد تصعيد قانوني، بل يعكس انتقالا صريحًا نحو منظومة عقابية عنصرية تضرب بعرض الحائط كل قواعد القانون الدولى وحقوق الإنسان. الأخطر من ذلك أن هذا التحول يحدث فى ظل صمت عربى مترهل، يكتفى ببيانات إدانة باهتة لا تملك أى أدوات ردع أو تأثير.

إن هذا العجز لا يمكن تبريره بضعف الإمكانيات فقط، بل يكشف عن أزمة إرادة سياسية عميقة، حيث تُقدم الحسابات الضيقة والاصطفافات الظرفية على حساب القضايا المصيرية. ومع كل موقف متخاذل، يُمنح الغطاء ولو ضمنيًا لمزيد من الانتهاكات، ويُفتح الباب أمام تكريس واقع قانونى قائم على التمييز وإهدار الحق فى الحياة.

المواجهة الحقيقية لمثل هذه السياسات لا يمكن أن تظل رهينة الخطاب الإنشائي. المطلوب تحرك عربى منظم، قانونيًا وسياسيًا، على الساحة الدولية، يستند إلى أدوات ضغط حقيقية، ويعيد الاعتبار لمفاهيم العدالة وحقوق الإنسان. أما الاستمرار فى هذا النهج المرتبك، فيعنى ببساطة ترسيخ العجز كخيار، وتحويل النظام العربى إلى مجرد شاهد على تحولات تُرسم خارجه وتُفرض عليه.

قالت العرب

وكان هناك شيوخٌ منسيّونَ وألويةٌ وبيارقُ، ومواريثُ، ونخلٌ، وبقايا آلام وابنُ
العمِّ العابرُ في خطوات متباطئة، تحسبُ أن أصابعه تَتَحسّسُ ظهْرَ الماءِ،
وكان هناك العالمُ رخواً يُشبهُ صفَّ قبورٍ

الشهد

العدد 349 – السنة الرابعة عشرة-الأربعاء 1 أبريل 2026 م – 13 شوال 1447 ه

حرب سقوط الحسابات.. خطيئة ترامب ونتانياهو الكبرى

في كل حرب هناك نوع من «المجازفة». وهي تلك الرؤية التقريبية وليس القطعية أو اليقينية، للمسارات التي يمكن أن ينجرف اليها سير المعارك، لأن لا أحد يعرف ما قد يطرأ من مستجدات أثناء سير العمليات. لذلك كثيرا ما يضع المخططون خططا بديلة متعددة، لاعادة التأقلم والتواؤم مع التطورات الفعلية التى قد تظهر، على غير انتظار، أثناء سير المعارك . بيد أن الحرب الراهنة جاءت منذ اللحظة الأولى موصومة، حرفيا، بما يمكن تسميته باسم «حرب سقوط الحسابات». فعندما بادر العدو الصهيوني الأمريكى بشن الحرب على ايران، كان يظن أن الأمر لن يستغرق عدة أيام على الأكثر، معتمدين فى هذا الظن على الطريقة المعتادة لديهما معا، ألا وهى طريقة «الصدمة والرعب». وهى طريقة تقوم على فكرة مؤداها: مفاجأة العدو بأكبر قدر من النيران على نقاط مفصلية واستراتيجية فى بنيته العسكرية واللوجستية، فى أقصر وقت ممكن. ومن ثم يتحقق النصر السريع غير المكلف الذى يتمنيانه.

قصف طهران في أوائل أيام الحرب

طاولة مفاوضات إسلام أباد

تماسك الداخل الإيراني

إيران من ضحية سهلة ومرشحة للفناء إلى كابوس عسكرى حقيقى شديد البأس أصاب كرامة وهيبة الأمريكان والإسرائيليين

«الثقافة الكربلائية» والقتال من أجل البقاء يعززان الصمود الإيرانى والقوى التى يهمها هزيمة الغطرسة الأمريكية ساعدت

ولقد تمت تجربة تلك الطريقة بنجاح تام فى حرب يونيو ١٩٦٧ عندما ضربت القوات الإسرائيلية معظم طائرات سلاح الجو المصرى والسورى وهى على الأرض، ومن ثم تم حسم المعركة قبل أن تبدأ فعليا. وكذلك الأمر فى جرينادا عام ١٩٨٣، وبنما ١٩٨٩.. الخ. وأخيرا فى فنزويلا، فى الثالث من يناير ٢٠٢٦. عندما عمدت القوات الأمريكية الى اعماء وتعطيل الرادارات والدفاعات الجوية الجوية الفنزويلية ومن ثم تقدمت قوات «دلتا فورس» الى القصر الرئاسى لتنفذ عملية إلقاء القبض على الرئيس نيقولاس مادورو، بسهولة تامة وبدون ثمن مادى أو بشرى يذكر. وهى الواقعة التى تعد الأكثر اثارة ودلالة رمزية فى زمننا الراهن.

فلأول مرة يتم القبض على رئيس الدولة المعادية بدون حرب شاملة على الدولة ككل. وان كان ذلك قد تم، من قبل، عند القبض على الرئيس هدسون أوستن رئيس جرينادا عام ١٩٨٣، والرئيس مانويل نورييجا فى بنما يناير عام ١٩٩٠، فإن الفرق كبير بين جرينادا وبنما، من ناحية، وفنزويلا، من ناحية أخرى، ولايمكن وضعها معا فى كفة واحدة، من حيث طبيعة كل من مادورو والزعيمين الآخرين وتوجهات كل منهم، ولا موازين القوى العسكرية والبشرية وتطورها، فى بلديهما. حيث تتميز فنزويلا عن البلدين الآخرين فى كل شيء. ولكنها على الرغم من ذلك سقط رئيسها بالطريقة ذاتها التى سقط بها الرئيسان السابقان عليه.

ولعل النجاح الباهر الذى حقق الهجوم على فنزويلا (فضلا عن سابقاتها) هو الذى زين لترامب ونتانياهو محاولة تكرار التجربة ذاتها، فى ايران. خاصة مع وجود تماثل نسبى بين حالى كل من فنزويلا وايران: فكلاهما محاصر منذ فترة طويلة، وكلاهما يعانى من توترات شعبية داخلية. بل إن ايران تميزت بأنها عانت من حصار شامل فرضته عليها أمريكا والغرب، تم بموجبه إخضاعها لعقوبات اقتصادية وسياسية وعسكرية كاملة ومتواصلة، منذ قيام الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩، حتى وقتنا الحالي. كما فرضت عليها حرب مع العراق، امتدت إلى ثمانى سنوات، حيث بدأت فى ٢٢ سبتمبر ١٩٨٠، لتنتهى فى أغسطس عام ١٩٨٨. ثم فرضت عليها حرب الاثنى عشر يوما فى يونيو من العام الماضي. ثم جرى التلاعب بالداخل الإيرانى لتخرج ضده عدة انتفاضات شعبية كبرى، كان آخرها ما جرى فى منعطف عامى ٢٠٢٥ و٢٠٢٦، أى قبل عدة أشهر من اندلاع الحرب الحالية.

وبحسب كل ما سبق فان كل الحسابات الظاهرية كانت تقول أن ايران قد أضحت جاهزة تماما، لتلقى الضربة الأخيرة التى ستنهى كل شيء، ومن ثم تحقق أمريكا النصر الاستراتيجى السهل الذى اعتادت عليه، وبدون خسائر تذكر. وكان لدى الأمريكان يقين قوى بأن الإطاحة برأس النظام كفيلة باعطاء أمل جديد لمن قاموا بالانتفاضة الأخيرة، فيقومون بالاجهاز على ما تبقى من قوة النظام، فينهار وتتفكك الدولة. ومن ثم يتحقق ما أراده الطرفان المهاجمان، من تنصيب أحد عملائهم حاكما لما تبقى من ايران اذا تبقى منها شيء، بعد تقسيمها بحسب المكونات العرقية المكونة للدولة. سواء أكان هذا العميل متمثلا فى ابن الشاه السابق أو أى صنيعة أخرى متاحة.

خارج التوقعات

ولكن حدث ما لم يكن متوقعا. فعملية اغتيال رأس النظام المتمثل فى المرشد الأعلى للثورة الإسلامية (على خامنئي) مع الصف الأول من القيادة، لم يفض الى انهيار النظام، بل سرعان ما تماسك النظام وأفرز قادة جددا، ربما كانوا أكثر عنفا ورغبة فى الانتقام من القيادات السابقة. وهكذا.. فكلما اغتالوا شخصية قيادية حلت محلها شخصية أخرى أكثر ضراوة وعنفا وإصرارا على القتال.

كما أن الشعب الإيرانى لم يثر على النظام الذى قطع رأسه (بحسب ما كان ينتظره الأمريكان والإسرائيليون) بل انه ازداد التحاما وتمسكا بنظام الحكم، بل إن المعارضين السابقين أظهروا ولاءهم للوطن وتناسوا خلافاتهم مع النظام وانضموا للقتال دفاعا عن بلادهم.

وهنا حدث ما لم يكن فى حسبان الدولتين المهاجمتين. حيث تحولت ايران من ضحية سهلة ومرشحة للفناء، الى كابوس عسكرى حقيقى شديد البأس أصاب كرامة وهيبة الأمريكان والإسرائيليين، وحلفائهما فى المنطقة، فى مقتل. على النحو الذى يشهده العالم أجمع الآن. وهو الأمر الذى أوصل الدولتين المهاجمتين الى مستوى من التوجع بحيث أصبحتا تستجديان «إيقاف القتال». وبدلا من الإطاحة بالنظام وتدمير المشروع النووى والاجهاز على المشروع الصاروخي، أخذت مطالبهما تتراجع الى مستوى مجرد فتح مضيق هرمز الذى كان مفتوحا من قبل نشوب الحرب.

ولكن ما الذى جعل هذه الحرب تتحول الى هذا النوع الفاجع من حروب الحسابات الخاسرة؟؟

●●●

أعتقد أن الأمر يعود الى مجموعة من الخطايا الاستراتيجية ارتكبتها قيادة العدو:

– خطيئة الاستهانة بالقوة الحضارية للخصم، وقدراته الثقافية والروحية الكامنة.

– عدم الوعى بطبيعة النظام السياسى والجهل بقدرته على إعادة انتاج نفسه وسلاحه وتعويض خسائره.

– عدم الوعى بالطبيعة الأيديولوجية والروحية لجنود وشعب الخصم.

– عدم حساب طبيعة القوى التى يهمها ويمكنها تقديم الدعم والمساعدة للخصم، كما ونوعا أثناء المعركة.

وسوف أتناول فيما يلى كل نقطة من هذه النقاط بالتفصيل فيما يلي:

أولا: بالنسبة للاستهانة بقوة الخصم، فقد تعامل العدو الأمريكى الصهيونى مع ايران على ضوء بيانات صورية وشكلية تماما، تمثلت فى المعلومات الكمية المجردة التى تقدمها أجهزة المخابرات التابعة لكل من القوتين المهاجمتين. وهى بيانات تحسب الظاهر والمعلن من كميات السلاح والغذاء والمستوى المعيشى وطبيعة قوى المعارضة والموالاة .. الخ. ولم تحسب هذه الأجهزة العمق الحضارى والتاريخى للشعب، وما يشتمل عليه من مفاهيم فارقة مثل: كرامة الأمة، ورمزية القيادة، وتجاهل قيمة المشاعر الدينية والوطنية. فالشعب الإيرانى شعب عريق ذو حضارة قديمة بنت منجزات حضارية كبرى وامبراطوريات عظمى، هزمت حضارة الميديين وورثتها منذ عام ٥٥٠ قبل الميلاد، عندما تأسست الامبراطورية الإخمينية على يد الملك قورش الكبير، بوصفها قوة عالمية عظمى، فى ذلك الزمان. فناطحت اليونانيين، واستولت على منطقة غرب ووسط آسيا، وأثرت حضارتها بقوة على كل شعوبها، ففرضت عليهم لغتها وأديانها وثقافتها.

وهذا التاريخ الحضارى هو ما يفسر أن الفرس يتمتعون بهذه القوة العلمية والفكرية الهائلة التى بقيت متوهجة حتى بعد الغزو العربى الإسلامى لبلادهم. وكان تأثيرهم فى الحضارة الاسلامية هو الأبرز والأكثر وضوحا، من بين الشعوب التى ضمها العرب المسلمون لامبراطوريتهم. فكان منهم الشعراء الكبار والفلاسفة والحكماء واللغويون.. الخ. بل لقد بلغ من تأثيرهم أن واضع قواعد النحو العربى هو العالم الفارسى سيبويه، وأن جامعى الحديث النبوى هم البخارى ومسلم والترمذي.. الخ، من الفرس.

والايرانيون يعدون من أكثر الشعوب التى ضمها العرب اعتزازا بقوميتهم وتاريخهم. ولعل ذلك ما جعلهم يناصبون بنى أمية الذين تعصبوا للعرق العربى العداء. وكان لهم الدور الأكبر فى القضاء على حكم السلالة الأموية، لصالح تنصيب بنى العباس، بدلا منهم، حيث برز الدور المحورى للقائد الفارسى أبو مسلم الخراساني. وأعتقد أن انتماء الفرس الى المذهب الشيعى ابان عصر الدولة الصفوية فى بداية القرن السادس عشر الميلادى (١٥٠١) يتعدى الجوانب الدينية والرمزية التى مثلتها شخصية الامام على بن أبى طالب وشخصية الحسين بن علي، ليعبر على نحو غير معلن عن مشاعر قومية ونزعة استقلالية مبكرة، فى خضم المواجهة مع العثمانيين السنة. فأضحى المذهب الشيعى بمثابة أيديولوجية نضالية قومية تجمعت حولها مكونات الأمة، فى زمن غلبت عليه الأيديولوجيا الدينية بشكل عام، سواء فى الشرق أو الغرب.

قدرة النظام على إعادة إنتاج نفسه

ثانيا: أما فيما يتعلق بعدم الوعى بطبيعة النظام السياسى وقدرته على إعادة انتاج نفسه وإنتاج سلاحه وتعويض خسائره، فإن الأمريكان والإسرائيليين لم يضعوا فى حسابهم الطبيعة الاستثنائية التى يتميز بها شخص المرشد العام فى ايران «الشيعية». فهو ليس مجرد رئيس مثل مادورو أو نورييجا ممن سبق ذكرهم. بل إنه شخصية تجتمع فيها السلطتان الروحية والزمنية، فى وقت واحد. فسلطته تشبه الى حد بعيد سلطة (بابا) الفاتيكان، داخل دولة الفاتيكان وخارجها. فهو فى داخل ايران هو الإمام الذى يخلف الإمام الثانى عشر (المهدى الغائب) فى قيادة الدولة الشيعية. وهو خارجها، بالنسبة لجموع الشيعة غير الإيرانيين، إنسان (مقدس) ينتسب إلى البيت النبوي، وبالتالي، يحمل لقب (سيد) وهو لقب لا يحمله إلا من ينتسبون إلى بيت النبوة. وبالتالى فهو رمز دينى ومرجع روحى إلى جانب كونه قائدا سياسيا داخل الدولة الايرانية. ومن هنا فهو لا يمكن قياسه على نموذج الزعيم أو الرئيس أو الملك، على النحو الذى تعرفه أنظمة الحكم الحديثة.

ولذلك جاءت عملية اغتياله بمثابة إهانة بالغة وطعنة غائرة ضربت صميم البينية العقيدية والدينية والوطنية لجموع المؤمنين به، سواء فى داخل إيران أو خارجها. ولذلك جاءت عملية اغتياله لتفجر غضبا هائلا فى نفوس الإيرانيين والشيعة فى كل أرجاء العالم. حيث أعادت الى الأذهان كل «مقاتل الطالبيين» أو عمليات الاغتيال المتتالية التى بدأت بعلى بن أبى طالب، والحسن بن علي، والحسين بن على من فاطمة الزهراء بنت النبى محمد (ص)، وأبنائهما وأحفادهما ، والتنكيل التاريخى بآل بيتهما حتى على زين العابدين، حفيد الحسين، عام ٩٥ هجرية – ٧١٤ ميلادية. مرورا بفاجعة كربلاء وغيبة الإمام المهدي.

ولعل هذه السردية هى ما جعلت من عملية اغتيال المرشد الأعلى السيد على الخامنئي، بمثابة استعادة تاريخية كاملة لما أسميه ب»الثقافة الكربلائية» التى تقوم، من ناحية على التفجع الحزن، ومن ناحية ثانية، على استرخاص الموت والرغبة الحارة فى الانتقام.

من ناحية أخرى، فلقد استثمر الإيرانيون ما يتمتعون به من زخم حضارى وعلمى فى التغلب على الحصار المطبق الذى تم فرضه عليهم، واستثمروا فى تطوير وتنمية عقول أبنائهم. كما حول الإيرانيون حرب الأعوام الثمانية وسنوات الحصار الطويل الى فرصة لتطوير قدراتهم على إنتاج كل شيء، بالمعنى الحرفى للكلمة (من الابرة الى الصاروخ). سواء ما يتعلق بالسلع الزراعية والصناعات الغذائية والاستهلاكية، أو التعدين والصناعات التحويلية والاستراتيجية، بدون الاعتماد على الخارج فى أى شيء.

ولكى يقوموا بذلك كان عليهم الاهتمام بالتعليم، وبخاصة ما يتعلق منه بالعلوم الطبيعية والرياضية والهندسية. فإيران تقوم سنويا بتخريج الآلاف من المهندسين الذين يتجاوز عددهم ما تقوم عدة دول أوربية بتخريجه مجتمعة، بحسب الإحصائيات الدولية المحايدة. كما استفادت إيران من علاقاتها بحلفائها من بلدان الشرق، مثل كوريا والصين وروسيا. وهو ما مكنها من توطين قاعدة علمية وتكنولوجية بالغة التقدم. وهى تلك القاعدة التى نلمس آثارها اليوم فى الطائرات المسيرة والصواريخ المتطورة بعيدة المدى. ولعل الدليل الأوضح على التميز الإيرانى فى هندسة الطيران والفضاء هو لجوء دولة عظمى ورائدة فى هذا المجال مثل روسيا أن تطلب عون الإيرانيين فيقومون ببناء مصنع للطائرات المسيرة من نوع (شاهد) فى الأراضى الروسية.

ولذلك نلاحظ أن الإيرانيين ليست لديهم مشكلة فى الامداد والتموين لقواتهم وتعويض ما يتم إنفاقه من الذخائر التى يتم القاؤها بأعداد هائلة على مواقع القوى المعادية. خاصة إذا عرفنا أن هذه الذخائر من صواريخ ومسيرات تعد زهيدة الثمن للغاية نظرا لتصنيعها من مكونات محلية وبأيدى محلية. بينما يصرخ الطرف المقابل من نفاد ذخائره الغالية الثمن والتى تستغرق وقتا طويلا لتعويض ما يتم استهلاكه منها.

التكوين الأيدولوجي

ثالثا: خطيئة عدم الوعى بطبيعة التكوين الأيديولوجى والنفسى لجنود وشعب الخصم.

لقد تصور ترامب ونتانياهو أن ما يمكن أن يصدر من استسلام قيادة أو شعب معين أمام مفهوم التفوق الأمريكى الكاسح، يمكن أن ينسحب على أى قيادة أو شعب آخر، بدون قراءة الفوارق الثقافية والاختلافات فى التجربة التاريخية لكل شعب على حدة، وبخاصة فيما يتعلق بالشعب الإيراني. وتلك رؤية استشراقية، تنبع من تعميمات تنميطية، لا تهتم بالنظر فى أى من هذه الفوارق، التى تتغاير بتغاير الخبرات والتجارب التاريخية للشعوب.

وفيما يتعلق بايران، على وجه التحديد، فان هذا البلد يمتلك، بكل تأكيد، نوعا من الخصوصية فيما يتعلق باستجابته لعوامل الردع والاخضاع، على مر تاريخه. حيث ترتكز قوته على عنصرين رئيسيين يجعلانه يقاتل حتى الموت. الأول: هو المتمثل فى الثقافة الكربلائية. والثاني: هو ذهنية من يقاتل وظهره للحائط.

«الثقافة الكربلائية» :

وتعد، تلك الثقافة، قلب وجوهر البنية الأيديولوجية للتدين الشيعي، بعامة، وبالتالي، ينسحب الأمر على إيران. من حيث انتماء السلطة وغالبية الشعب الى هذا المذهب.

ويتمحور المذهب الشيعي، كما هو معلوم، حول فكرة التشيع (أى التأييد والانتماء) للإمام على، كرم الله وجهه، وآل بيته. ومناصرة أحقيتهم فى الامامة (الحكم والسلطة)، فى مواجهة مغتصبيها منه ومن أبنائه، سواء أكان هؤلاء المغتصبون للسلطة من بنى أمية أو ممن تلاهم من العباسيين وغيرهم. ولقد ارتبطت هذه الثقافة ب»موقعة كربلاء» التى حدثت يوم الجمعة، العاشر من محرم سنة ٦١ هجرية، وهو الموافق ١٢ أكتوبر سنة ٦٨٠ ميلادية. وكربلاء هى المكان الذى وصل اليه الإمام الحسين (ع) وأهل بيته، ليلتحق بمناصريه من أهل الكوفة، (وقد كانت عاصمة الخلافة إبان حكم الإمام على قبل قتله وانتقال العاصمة الى دمشق فى عهد معاوية). بعد أن قام أهل الكوفة بمراسلته ودعوته للقدوم اليهم، واعدين إياه بمناصرته ومبايعته خليفة عليهم، بدلا من يزيد بن معاوية، الذى انتزع له أبوه (معاوية بن أبى سفيان) البيعة بحد السيف، فى ذلك الوقت. وعندما قدم موكب الحسين لاقاه جيش عبيد الله بن زياد والى الكوفة الموالى ليزيد، بقيادة عمر بن سعد بن أبى وقاص. حيث نكص أهل الكوفة عن مناصرة الحسين خوفا ورعبا، ومن ثم، نكل جيش يزيد بالحسين وآل بيته فى مذبحة وحشية كبرى، قتل فيها الحسين وجزء كبير من أبنائه وتم سبى نساء آل البيت النبوي. ولقد بقيت تلك المذبحة تمثل جرحا غائرا فى الوعى الدينى الإسلامي، بمختلف مذاهبه، حتى اليوم.

ومن هنا، تكونت تلك «الثقافة الكربلائية» على عاطفتي: «الندم» و«الحزن»:

أما الندم، فهو ذلك المتمثل فى جلد الذات (معنويا وماديا، معا) على عدم نصرة الحسين، فى محاولة للتطهر من الذنب ودفع ثمنه ألما. وأما الحزن، فهو ذلك الاشفاق، المتمثل فى سكب الدموع ولبس الأسود، حدادا على ما حاق بالحسين وآل بيته، من بشاعات، بينما كان يليق بهم التكريم.

ولذلك تقام فى ذكرى هذاالحدث الجلل، من كل عام، مواكب الندم والحزن الكربلائية التى تجوب شوارع ومدن الشيعة.

ولقد ارتكزت عاطفتا «الندم» و«الحزن»، بدورهما، على أسس ثلاثة:

الأول: أخلاقي، يتمثل فى التمسك بالمبدأ، والوقوف بجانب الحق والمطالبة بالعدل، مهما كانت التبعات.

والثاني: عقيدي، يتمثل، يتمثل فى استرخاص الموت، وتمجيده، واعتباره نوعا من التكفير والتكريم، فى آن.

والثالث: مسلكي، يتمثل فى التخلى عن جزء من الثروة ونعم الحياة، فى مقابل الميل الى التقشف والقسوة على النفس.

ولذلك أضحت الثقافة الكربلائية، بجوهرها، ثقافة استشهادية، تتعدى عدم المبالاة بالموت، الى السعى طلبا له. فأصبحت بمثابة الروح الخفية المبثوثة فى وجدان هذه الملايين، تحركهم وتوجه حركتهم. وتحول نمط حياتهم الى نوع من «الجهاد» المقدس.

القتال من أجل البقاء:

لقد أضحت ايران، منذ انتصار الثورة الخومينية على يقين تام بأنها تقع فى موضع الاستهداف، من قبل قوى الغرب الامبريالى وقوى الصهيونية، فى الآن نفسه. ولقد تبدى ذلك بجلاء فى الحصار الشامل، الذى أطبق على الجمهورية الإسلامية منذ انتصار ثورتها عام ١٩٧٩. وما تلاه من تشجيع العراق وتمويله، فى عهد صدام حسين، ليشن الحرب على إيران، التى استمرت لثمانى سنوات. ومن بعد ذلك فى حرب الاثنى عشر يوما فى يونيو الماضي، وأخيرا تلك الحرب الحالية، فضلا عما تخلل ذلك التاريخ من الاستفزازات التى لا تتوقف، والاغتيالات المتوالية لقادة عسكريين، وعلماء، وسياسيين. حتى بلغت تلك الاغتيالات حد اغتيال رئيس الدولة إبراهيم رئيسى فى ١٩ مايو عام ٢٠٢٤. وكانت ذروتها متمثلة فى اغتيال المرشد العام لإيران، على خامنئي، ومعه عدد كبير من كبار القادة العسكريين فى الجيش والحرس الثوري.

وفى أى من كل تلك الحروب والاغتيالات، لم تكن إيران هى المبادرة، بل كانت هى التى يقع عليها العدوان. على الرغم من إبدائها كل أشكال المرونة السياسية والاستعداد للتفاهم والتفاوض. لذلك وصل الإيرانيون إلى يقين مؤداه أن البديل الوحيد أمامهم هو الصمود والمواجهة، وإلا فان مصيرهم هو الفناء والقضاء المبرم على وجودهم. ليس فقط وجودهم السياسي، كنظام للحكم، بل وجود وكيان الدولة الإيرانية، بحد ذاته.

لذلك توصل الخطاب السياسى الإيرانى إلى صياغة مؤداها أن المعادلة التى تحكم علاقته بالغرب والكيان الصهيونى إنما هى «معادلة صفرية»، لا مكان فيها لأنصاف الحلول، فإما النصر والصمود مهما كانت التضحيات، وإما الفناء. وأضحت الذهنية الحاكمة عند الإيرانيين منحصرة فى وضعية «القتال من أجل البقاء».

القوى التى يهمها هزيمة أمريكا وإسرائيل

رابعا: عدم حساب طبيعة القوى التى يهمها هزيمة العدوان، ويمكنها تقديم الدعم والمساعدة لإيران

لا يمكن التكهن بمقدار وعى صانع القرار الأمريكى والصهيونى من أن هناك قوى عالمية تتمنى تورطهما فى صراع دموى وطويل مع إيران. وربما ضعف ردود الأفعال على ما قام به ترامب نجاه فنزويلا هو ما جعله يقلل من توقعه لحجم الدعم الذى يمكن أن يقدمه أصدقاؤها. ولكن واقع الحال أن تلك الحرب جاءت على هوى كثير من القوى العالمية، على رأسها الصين، وروسيا، وكوريا الشمالية، وربما بعض دول أوروبا من الأعضاء فى حلف الناتو نفسه. وكل هذه القوى يهمها إنهاك وإضعاف الولايات المتحدة، وإجبارها على التخلى عن أطماعها التى لا تقف عند حد، خاصة أن رئيسها يقوم بالإفصاح يوميا عن رغبته فى السيطرة المطلقة على كل بلدان العالم والاستيلاء الكامل على ثرواتها. فضلا عن عجرفة هذا الرئيس وفريقه فى التعامل مع زعماء العالم، والإعراب الدائم عن أطماعهم فى السيطرة بالقوة العارية على العالم. على نحو يجافى كل الأعراف وقواعد البروتوكول والقوانين الدولية. فأعداء الولايات المتحدة صاروا يمثلون معظم سكان العالم، بالمعنى الحرفى للكلمة.

بيد أن الخصمين الأكثر أهمية يتمثلان فى كل من الصين وروسيا. وكلاهما يعلم أنه هو المستهدف الضمنى من الحرب على إيران. أما الصين فهى على وعى وثقة تامين من أن معظم النشاطات السياسية والعسكرية التى يقوم بها الأمريكان، انما يقصدون منها محاولة حصار الصين وخنق اقتصادها، بغية إيقاف نموها المطرد على نحو يرون فيه تهديدا لعرش الصدارة والهيمنة الأمريكية على العالم. سواء أكان ذلك متمثلا فيما حدث مع بنما من إجبارها على التخلص من الحصة الصينية فى قناة بنما، أو ما تم فى فنزويلا، من اختطاف الرئيس نيكولاس مادورو وزوجته، وما تبعه من هيمنة على النفط الفنزويلي. أو حصار كوبا والتهديد بابتلاعها. أو حتى ما جاء بالتصريح اللفظى المباشر عندما قال ترامب بأن «على أمريكا أن تحصل على جزيرة جرينلاند حتى لا تستولى عليها الصين أو روسيا». وانتهاء بالحرب على ايران، والتى تهدف إلى الهيمنة على سوق النفط العالمي، بما يجعلها قادرة على التحكم فى أسعاره، وبالتالى التحكم فى تدفقه إلى المصانع الصينية.

وكذلك السعى الأمريكى إلى إحكام السيطرة على الممرات الملاحية التجارية، وبخاصة مضيق هرمز فى تلك الحالة، بما يمكنها من السيطرة على حركة التجارة الصينية وعرقلة سبل تدفقها على الصعيد العالمي. إلى جانب الوضع فى الاعتبار أن الولايات المتحدة تعد الداعم الأكبر لتايوان والمانع الرئيسى لطموح الصين فى ضمها إلى الوطن الصينى الأم.

ولذلك جاءت هذه الحرب على إيران لتصبح فرصة كبيرة بالنسبة للصينيين لكى يلجموا هذه العدوانية الأمريكية ويهزموا عنفوانها العسكرى والسياسى على الصعيد العالمي، عن طريق إغداق الصين بالمساعدات التسليحية لإيران، كما وكيفا، وعلى مستوى المعلومات الاستخباراتية.

أما بالنسبة لروسيا فان ثأرها مع الولايات المتحدة قديم ومتأصل منذ سنوات الحرب الباردة، ودور الغرب فى تفكيك الاتحاد السوفيتي، الذى اعتبره الرئيس الروسى فلاديمير بوتين «أكبر كوارث القرن العشرين»، فى تصريح مشهور له. كما أن أمريكا والغرب هما اللذان حرضا أوكرانيا على استقبال الصواريخ الدفاعية لحلف شمال الأطلنطى «ناتو» إلى الحدود الروسية. وقاما بالتلويح بضمها إلى هذا الحلف. بما يهدد، فى الصميم، الأمن القومى الروسي. كما أن الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة، هو الذى يعمل على قلقلة الأوضاع فى دول آسيا الوسطى التى تعد الخاصرة الرخوة للاتحاد الروسى ومجاله الحيوي، فيما يتعلق باستراتيجيته الدفاعية. ولقد رأينا ذلك فى الأحداث التى جرت فى كل من: جورجيا، والشيشان، وأذربيجان، وأرمينيا، وكازاخستان. وكلها شهدت تحركات غربية تهدد النفوذ الروسى هناك.

وبدرجة أقل، يمكن إضافة كوريا الشمالية إلى المعسكر الروسى الصيني، حيث تتخذ كوريا الشمالية من أمريكا عدوها الأكبر والمهدد الأول لبقائها.

لكل ذلك تلقف هؤلاء الخصوم مبادرة أمريكا والكيان الصهيونى بالهجوم على ايران ليقدموا مختلف ألوان الدعم لتقوية صمودها وإبعادها عن شبح الهزيمة والاستسلام. ولقد تبدى أثر هذا الدعم بقوة ملموسة فى هذه الحرب، قياسا على ما جرى فى حرب العام الماضي، من خلال ما لاحظه المراقبون من دقة تصويب الصواريخ الإيرانية، ومقدار فاعليتها التدميرية، وتنوع بنك أهدافها.. الخ. وهو ما جعل إيران أكثر إيلاما لأعدائها عن ذى قبل.

وفى النهاية يبقى سؤال مهم أراه يلوح فى ذهن كل قارئ لهذا التحليل: ألا وهو ما سر هذا الإخفاق فى حسابات العدو الصهيو أمريكي؟؟

والإجابة، كما أراها، قد تكمن فى تعجل قوى العدوان بالهجوم على إيران لاجهاض ما يتصورونه وصولا وشيكا لصناعة سلاح نووي، يريانه مهددا لكل مشاريعهما السابق الإشارة اليها. وقد يكون السبب متمثلا فى الخضوع إلى نبوءات توراتية دينية مرتبطة بالديانة اليهودية والمسيحية الصهيونية التى تعمل من أجل القضاء على إيران وبناء الهيكل، تمهيدا لظهور السيد المسيح.. الخ. وقد تكمن الإجابة فى طبيعة الشخصية النرجسية للرئيس ترامب ورغبته فى استكمال أمجاده الوقحة بتحقيق انتصارات إضافية يباهى بها الجمهور الأمريكي، كما وعده بجعل أمريكا عظيمة مجددا. وقد يكون السبب ناتجا عن سيطرة معينة للوبى اليهودى على شخص ترامب.. الخ.

لكن الحديث عن ذلك يتطلب مقالا آخر.

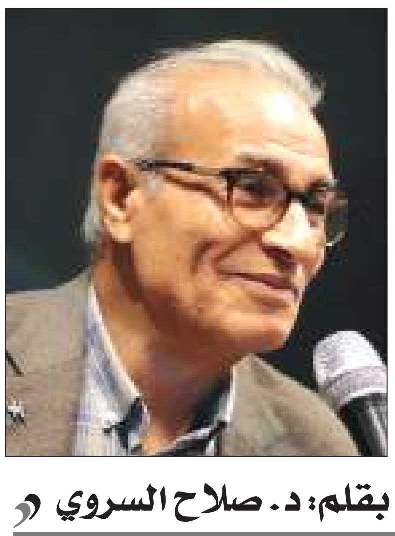

بقلم: د. صلاح السروي

المشهد
العدد 349 – السنة الرابعة عشرة-الأربعاء 1 أبريل 2026 م – 13 شوال 1447 ه

قالت العرب

وكانَ أمامَ البيت خلاءٌ، لا يسكنهُ غير هواءِ الليل، وغيرُ غرائزنا، وأمامَ البيتِ مسلاتٌ بيضاءُ، وريحٌ مترهلةٌ تلبسُ أرديةً زرقاءَ، ورجلٌ حافٍ ممتلئٌ بحنينٍ صافٍ، وطيورٍ جائعةٍ، سوف يسيلُ، ويجلسُ

تفاصيل الاجتماع السرى بين ترامب ونتنياهو الذى مهد لضرب ايران

ترامب يمنح الضوء الأخضر لأفكار إسرائيلية بشأن سهولة اسقاط النظام الإيرانى قبل أن تدرسها أجهزته

اجتماع في البيت الأبيض

نتنياهو يعرض سيناريو الحرب (صورة بالذكاء الاصطناعي لمحاكاة ما جرى)

معلومة استخبارية عن اجتماع القيادة الإيرانية برئاسة المرشد عجلت قرار الحرب وكانت فرصة لا تفوّت

نائب الرئيس كان يعتقد أن حربًا لتغيير النظام فى إيران ستكون كارثة وحاول توجيه القرار نحو عمل محدود

رئيس هيئة الأركان لم يبلغ الرئيس ترامب بأن الحرب مع إيران فكرة سيئة للغاية رغم أنه يعتقد ذلك

وصلت سيارة دفع رباعي سوداء تقلّ رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو إلى البيت الأبيض قبيل الساعة الحادية عشرة صباحًا فى الحادى عشر من فبراير، وكان المسؤول الإسرائيلي، الذى ظلّ يضغط لأشهر من أجل موافقة الولايات المتحدة على شنّ هجوم واسع على إيران، قد أُدخل سريعًا إلى الداخل دون مراسم تُذكر وبعيدًا عن أنظار الصحفيين، استعدادًا لواحدة من أخطر اللحظات فى مسيرته الطويلة.

واجتمع المسؤولون الأمريكيون والإسرائيليون أولًا فى غرفة مجلس الوزراء المجاورة للمكتب البيضاوي، ثم توجّه نتنياهو إلى الطابق السفلى للمشاركة فى الحدث الرئيسى وهو عرض شديد السرية بشأن إيران أمام الرئيس ترامب وفريقه فى غرفة العمليات بالبيت الأبيض، وهى غرفة نادرًا ما تُستخدم لعقد اجتماعات حضورية مع قادة أجانب.

جلس ترامب، ولكن ليس فى موقعه المعتاد على رأس طاولة الاجتماعات المصنوعة من خشب الماهوغني، بل اتخذ مقعدًا على أحد الجانبين مواجهًا الشاشات الكبيرة المثبتة على الجدار، فيما جلس نتنياهو على الجانب المقابل مباشرة، وظهر ديفيد برنياع، رئيس جهاز الموساد، إلى جانب مسؤولين عسكريين إسرائيليين، على الشاشة خلف رئيس الوزراء وقد اصطفّوا بصريًا خلف نتنياهو ليشكّلوا صورة قائد فى زمن الحرب تحيط به قيادته.

وجلست سوزى وايلز، كبيرة موظفى البيت الأبيض، فى نهاية الطاولة، واتخذ وزير الخارجية ماركو روبيو، الذى كان يشغل أيضًا منصب مستشار الأمن القومي، مقعده المعتاد، وجلس وزير الدفاع بيت هيغسيث والجنرال دان كين، رئيس هيئة الأركان المشتركة، إلى جانب بعضهما كما جرت العادة، وانضم إليهما جون راتكليف، مدير وكالة الاستخبارات المركزية، كما حضر جاريد كوشنر، صهر الرئيس، وستيف ويتكوف، مبعوث ترامب الخاص الذى كان يجرى مفاوضات مع الإيرانيين، ليكتمل بذلك الفريق الأساسي.

جاء الاجتماع محدودًا بشكل متعمّد لتجنّب التسريبات، إذ لم يكن عدد من كبار وزراء الحكومة على علم بانعقاده، كما غاب نائب الرئيس، حيث كان جى دى فانس فى أذربيجان، وقد جرى ترتيب الاجتماع على عجل بحيث لم يتمكن من العودة فى الوقت المناسب.

وكان العرض الذى قدّمه نتنياهو خلال الساعة التالية محوريًا فى دفع الولايات المتحدة وإسرائيل نحو مسار صراع مسلّح واسع فى واحدة من أكثر مناطق العالم اضطرابًا، كما أدى إلى سلسلة من النقاشات داخل البيت الأبيض خلال الأيام والأسابيع التالية، لم تُكشف تفاصيلها سابقًا، حيث درس ترامب خياراته والمخاطر قبل أن يمنح الضوء الأخضر للانضمام إلى إسرائيل فى مهاجمة إيران.

إيران مهيأة لتغيير النظام

تستند هذه الرواية بشأن كيفية إدخال ترامب الولايات المتحدة فى الحرب إلى تقارير أُعدّت لكتاب مرتقب بعنوان «تغيير النظام: داخل الرئاسة الإمبراطورية لدونالد ترامب»، وتكشف هذه الرواية كيف عكست المداولات داخل الإدارة حدس الرئيس، والانقسامات داخل دائرته المقرّبة، وطريقة إدارته للبيت الأبيض، وقد استندت إلى مقابلات موسّعة أجريت بشرط عدم الكشف عن الهوية لتناول نقاشات داخلية وقضايا حساسة.

وتُظهر هذه التقارير مدى تقارب التفكير المتشدد لدى ترامب مع مواقف نتنياهو على مدى أشهر، بدرجة فاقت ما أدركه حتى بعض كبار مستشارى الرئيس.

وقد شكّلت العلاقة الوثيقة بينهما سمة مستمرة عبر إدارتين، وكان لهذه الديناميكية، رغم ما شابها أحيانًا من توتر، دور فى إثارة انتقادات وشكوك حادة من اليسار واليمين فى السياسة الأمريكية.

كما تبيّن الرواية أنه فى نهاية المطاف، حتى الأعضاء الأكثر تشككًا فى فريق الحرب لدى ترامب، باستثناء واضح لجى دى فانس، الذى كان الأكثر معارضة داخل البيت الأبيض لخوض حرب شاملة، قد خضعوا لحدس الرئيس، بما فى ذلك ثقته الكبيرة بأن الحرب ستكون سريعة وحاسمة، وقد رفض البيت الأبيض التعليق.

قدّم نتنياهو عرضًا قويًا، فى غرفة العمليات فى ١١ شباط فبراير، مشيرًا إلى أن إيران باتت مهيأة لتغيير النظام، ومعربًا عن اعتقاده بأن مهمة مشتركة بين الولايات المتحدة وإسرائيل يمكن أن تضع حدًا للجمهورية الإسلامية.

وعرض الإسرائيليون فى مرحلة ما، على ترامب مقطع فيديو قصيرًا تضمن لقطات لمرشحين محتملين لقيادة البلاد فى حال سقوط الحكومة المتشددة، وكان من بين هؤلاء رضا بهلوي، نجل شاه إيران الأخير والمنفي، وهو معارض يقيم فى واشنطن سعى إلى تقديم نفسه كقائد علمانى يمكنه قيادة إيران نحو نظام ما بعد الحكم الديني.

وعرض نتنياهو وفريقه مجموعة من المعطيات التى قدّموها باعتبارها مؤشرات على نصر شبه مؤكد: إذ يمكن تدمير برنامج الصواريخ الباليستية الإيرانى خلال أسابيع قليلة، كما سيُضعف النظام إلى حدّ يمنعه من إغلاق مضيق هرمز، وقد قدّرت احتمالات توجيه إيران ضربات للمصالح الأمريكية فى الدول المجاورة بأنها ضئيلة.

وأضافوا أن معلومات جهاز الموساد تشير إلى أن الاحتجاجات الشعبية داخل إيران ستندلع مجددًا، وأن حملة قصف مكثفة، مدعومة بتحركات سرية من الجهاز الإسرائيلى لإثارة الاضطرابات والتمرد، قد تهيئ الظروف لتمكين المعارضة الإيرانية من إسقاط النظام. كما طرح الإسرائيليون احتمال عبور مقاتلين أكراد إيرانيين من العراق لفتح جبهة برية فى الشمال الغربي، ما سيزيد الضغط على قوات النظام ويسرّع انهياره.

وقدّم نتنياهو عرضه بصوت رتيب وواثق، وبدا أن عرضه لقى صدىً إيجابيًا لدى أهم شخص فى الغرفة، وهو الرئيس الأمريكي.

وقال ترامب لرئيس الوزراء: «يبدو الأمر جيدًا بالنسبة لي»، وقد فهم نتنياهو من ذلك أنه إشارة إلى ضوء أخضر محتمل لعملية مشتركة بين الولايات المتحدة وإسرائيل.

ولم يكن نتنياهو الوحيد الذى خرج من الاجتماع بانطباع أن ترمب قد حسم قراره تقريبًا، فقد لاحظ مستشارو الرئيس أنه تأثر بشدة بالوعود المتعلقة بما يمكن أن تنفذه الأجهزة العسكرية والاستخباراتية الإسرائيلية، كما كان الحال عندما تحدث الرجلان قبل الحرب التى استمرت ١٢ يومًا مع إيران فى يونيو.

وحاول نتنياهو فى وقت سابق أن يركّز انتباه الأمريكيين المجتمعين فى غرفة مجلس الوزراء على التهديد الوجودى الذى يمثله المرشد الأعلى الإيرانى البالغ من العمر ٨٦ عامًا، آية الله على خامنئي.

أسئلة ومخاطر تطرح على نتنياهو

وعندما طرح آخرون فى الغرفة أسئلة على رئيس الوزراء بشأن المخاطر المحتملة للعملية، أقرّ بهذه المخاطر، لكنه شدّد على نقطة مركزية: من وجهة نظره، فإن مخاطر عدم التحرك أكبر من مخاطر التحرك، وجادل بأن كلفة العمل ستزداد فقط إذا تأخروا فى الضربة ومنحوا إيران مزيدًا من الوقت لتسريع إنتاج الصواريخ وبناء درع حصانة حول برنامجها النووي.

وقد أدرك الجميع فى الغرفة أن إيران قادرة على تعزيز مخزونها من الصواريخ والطائرات المسيّرة بتكلفة أقل بكثير وبسرعة أكبر مما تستطيع الولايات المتحدة به إنتاج وتزويد أنظمة الاعتراض الأكثر تكلفة لحماية مصالحها وحلفائها فى المنطقة.

وأدّت عروض نتنياهو، وردّ ترمب الإيجابى عليها، إلى تكليف عاجل لمجتمع الاستخبارات الأمريكي. فقد عمل المحللون طوال الليل لتقييم مدى واقعية ما عرضه الفريق الإسرائيلى على الرئيس.

«هزلى .. هذا هراء»

فى اليوم التالي، ١٢ فبراير، عُرضت نتائج التحليل الاستخباراتى الأمريكى فى اجتماع آخر خُصّص للمسؤولين الأمريكيين فقط فى غرفة العمليات، وقبل وصول ترامب، قدّم مسؤولان استخباراتيان كبيران إحاطة للدائرة المقرّبة من الرئيس.

كان المسؤولون الاستخباراتيون يمتلكون خبرة عميقة فى قدرات الجيش الأمريكي، وكانوا يعرفون النظام الإيرانى ولاعبيه عن كثب، وقد قسّموا عرض نتنياهو إلى أربعة أجزاء:

أولًا، قطع الرأس .. أى اغتيال المرشد الأعلى.

ثانيًا، شلّ قدرة إيران على إسقاط قوتها وتهديد جيرانها.

ثالثًا، اندلاع انتفاضة شعبية داخل إيران.

ورابعًا، تغيير النظام، مع تنصيب قائد علمانى لحكم البلاد.

وقد قدّر المسؤولون الأمريكيون أن الهدفين الأول والثانى قابلان للتحقيق باستخدام القدرات الاستخباراتية والعسكرية الأمريكية، أما الجزآن الثالث والرابع من طرح نتنياهو، اللذان تضمّنا احتمال قيام الأكراد بغزو برى لإيران، فقد اعتُبرا بعيدين عن الواقع.

وعندما انضم ترمب إلى الاجتماع، قدّم السيد راتكليف الإحاطة له بشأن التقييم، واستخدم مدير وكالة الاستخبارات المركزية كلمة واحدة لوصف سيناريوهات تغيير النظام التى طرحها رئيس الوزراء الإسرائيلي: «هزلية».

وعند هذه النقطة، تدخّل روبيو قائلًا: «بعبارة أخرى، هذا هراء»

وأضاف راتكليف أن تغيير النظام قد يحدث نظرًا لعدم القدرة على التنبؤ بمسار أى صراع، لكنه لا ينبغى اعتباره هدفًا قابلًا للتحقيق.

وتدخّل عدة مسؤولين آخرين، بينهم نائب الرئيس فانس، الذى عاد لتوه من أذربيجان، وأعرب أيضًا عن شكوك قوية بشأن احتمالات تغيير النظام.

ثم توجّه الرئيس إلى الجنرال كين قائلًا: «جنرال، ما رأيك؟»

فأجاب الجنرال كين: «سيدي، هذا – فى خبرتى – إجراء اعتيادى لدى الإسرائيليين. فهم يبالغون فى عرض الأمور، وخططهم ليست دائمًا متطورة جيدًا. إنهم يعلمون أنهم بحاجة إلينا، ولذلك يضغطون بقوة».

وقيّم ترمب هذا التقدير سريعًا، وقال إن تغيير النظام سيكون «مشكلتهم»، ولم يكن واضحًا ما إذا كان يقصد الإسرائيليين أم الشعب الإيراني، لكن الخلاصة كانت أن قراره بشأن الذهاب إلى الحرب ضد إيران لن يعتمد على إمكانية تحقيق الجزأين الثالث والرابع من عرض نتنياهو.

وبدا أن ترمب لا يزال مهتمًا جدًا بتحقيق الجزأين الأول والثاني: اغتيال المرشد الأعلى وكبار قادة إيران، وتفكيك الجيش الإيراني.

وكان الجنرال كين، الذى كان ترامب يحب أن يشير إليه باسم «ريزن كين»، قد أثار إعجاب الرئيس قبل سنوات عندما أخبره أن تنظيم الدولة يمكن هزيمته بسرعة أكبر بكثير مما كان متوقعًا، وكافأه ترامب على تلك الثقة بترقيته، وهو طيار مقاتل سابق فى سلاح الجو، ليصبح مستشاره العسكرى الأعلى، ولم يكن الجنرال كين مواليًا سياسيًا، وكان لديه مخاوف جدية بشأن حرب مع إيران، لكنه كان حذرًا للغاية فى طريقة عرض آرائه على الرئيس.

وخلال الأيام التالية، بينما كان فريق صغير من المستشارين الذين أطلعوا على الخطط يتداولون، عرض الجنرال كين على ترامب وآخرين تقييمًا عسكريًا مقلقًا يفيد بأن حملة كبرى ضد إيران ستستنزف بشكل كبير مخزونات الأسلحة الأمريكية، بما فى ذلك صواريخ الاعتراض التى تضرر مخزونها بالفعل بعد سنوات من دعم أوكرانيا وإسرائيل، ولم يرَ الجنرال كين مسارًا واضحًا لإعادة ملء هذه المخزونات بسرعة.

كما أشار إلى الصعوبة الهائلة فى تأمين مضيق هرمز، وإلى مخاطر قيام إيران بإغلاقه، وكان ترامب قد استبعد هذا الاحتمال على أساس أن النظام الإيرانى سيستسلم قبل الوصول إلى تلك المرحلة، ويبدو أن الرئيس كان يعتقد أن الحرب ستكون سريعة جدًا، وهو انطباع تعزّز بسبب رد الفعل المحدود على القصف الأمريكى للمنشآت النووية الإيرانية فى يونيو.

وقد عكس دور الجنرال كين فى الفترة التى سبقت الحرب توترًا تقليديًا بين المشورة العسكرية وصنع القرار الرئاسي. فقد كان حريصًا باستمرار على عدم اتخاذ موقف مباشر، مكررًا أن دوره لا يتمثل فى إخبار الرئيس بما يجب فعله، بل فى عرض الخيارات مع المخاطر المحتملة والنتائج من الدرجة الثانية والثالثة، إلى درجة أنه بدا لبعض الحاضرين وكأنه يجادل فى جميع جوانب القضية فى آن واحد.

وكان يطرح باستمرار السؤال: «وماذا بعد ذلك؟» لكن ترامب كان غالبًا ما يسمع فقط ما يريد سماعه.

وقد اختلف الجنرال كين فى كل شيء تقريبًا عن رئيس سابق لهيئة الأركان المشتركة، الجنرال مارك ميلي، الذى كان قد جادل ترامب بشدة خلال ولايته الأولى، وكان يرى أن دوره يتمثل فى منع الرئيس من اتخاذ قرارات خطيرة أو متهورة.

وأشار أحد المطلعين على حواراتهما إلى أن ترامب كان يميل إلى الخلط بين النصائح التكتيكية التى يقدمها الجنرال كين والإرشاد الاستراتيجي، وكان ذلك يعنى عمليًا أن الجنرال قد يحذّر فى جملة واحدة من صعوبات أحد جوانب العملية، ثم يذكر فى الجملة التالية أن الولايات المتحدة تمتلك إمدادًا شبه غير محدود من القنابل الدقيقة منخفضة التكلفة، وأن بإمكانها ضرب إيران لأسابيع بمجرد تحقيق التفوق الجوي.

وبالنسبة لرئيس هيئة الأركان، كانت هذه ملاحظات منفصلة، لكن ترامب بدا وكأنه يعتقد أن الثانية تُلغى الأولى.

وخلال المداولات، لم يبلغ رئيس الهيئة الرئيس بشكل مباشر فى أى لحظة بأن الحرب مع إيران فكرة سيئة للغاية – رغم أن بعض زملاء الجنرال كين كانوا يعتقدون أن هذا هو بالضبط ما كان يراه.

ترامب الصقورى

ورغم أن كثيرًا من مستشارى الرئيس كانوا لا يثقون بنتنياهو، فإن رؤية رئيس الوزراء للوضع كانت أقرب بكثير إلى رأى ترامب مما كان أنصار عدم التدخل داخل فريق ترامب أو فى حركة «أمريكا أولًا» يرغبون فى الاعتراف به، وقد كان ذلك صحيحًا لسنوات عديدة.

ومن بين جميع تحديات السياسة الخارجية التى واجهها ترامب خلال فترتى رئاسته، برزت إيران كحالة مختلفة، فقد اعتبرها خصمًا خطيرًا بشكل فريد، وكان مستعدًا لتحمّل مخاطر كبيرة لإعاقة قدرة النظام على خوض الحروب أو امتلاك سلاح نووي، كما تلاقت أطروحة نتنياهو مع رغبة ترامب فى تفكيك النظام الدينى الإيرانى الذى استولى على السلطة عام ١٩٧٩، عندما كان ترامب فى الثانية والثلاثين من عمره، والذى ظل شوكة فى خاصرة الولايات المتحدة منذ ذلك الحين.

وكان بإمكانه الآن أن يصبح أول رئيس منذ استيلاء القيادة الدينية على الحكم قبل ٤٧ عامًا ينجح فى إحداث تغيير فى النظام فى إيران، وكان هناك دافع إضافي، نادرًا ما يُذكر لكنه حاضر دائمًا فى الخلفية، وهو أن إيران كانت قد خططت لاغتيال ترامب انتقامًا لاغتيال الجنرال قاسم سليمانى فى يناير ٢٠٢٠، الذى كان يُنظر إليه فى الولايات المتحدة باعتباره قوة دافعة وراء حملة إيرانية للإرهاب الدولي.

ومع عودته إلى المنصب لولاية ثانية، ازداد ثقة ترامب بقدرات الجيش الأمريكي، وقد تعزّزت هذه الثقة بشكل خاص بعد العملية الجريئة التى نفذتها قوات خاصة للقبض على الزعيم الفنزويلى نيكولاس مادورو من مقره فى ٣ يناير، ولم تفقد أى أرواح أمريكية فى تلك العملية، وهو ما اعتبره الرئيس دليلًا إضافيًا على التفوق الفريد للقوات الأمريكية.

هيغسيث أبرز المؤيدين

داخل مجلس الوزراء، كان هيغسيث أبرز المؤيدين لحملة عسكرية ضد إيران.

أما روبيو، فقد أشار لزملائه إلى أنه أكثر ترددًا، إذ لم يكن يعتقد أن الإيرانيين سيوافقون على اتفاق تفاوضي، لكنه فضّل مواصلة سياسة «الضغط الأقصى» بدلًا من بدء حرب شاملة، ومع ذلك، لم يحاول إثناء ترامب عن العملية، وبعد اندلاع الحرب، قدّم مبررات الإدارة لها بقناعة كاملة.

وكانت لدى السيدة وايلز مخاوف بشأن ما قد ينطوى عليه صراع جديد فى الخارج، لكنها لم تمل إلى التدخل بقوة فى القضايا العسكرية خلال الاجتماعات الكبرى؛ بل كانت تشجّع المستشارين على عرض آرائهم ومخاوفهم على الرئيس فى تلك الاجتماعات.

وقد مارست وايلز نفوذًا فى قضايا أخرى كثيرة، لكنها فى الغرفة مع ترامب والجنرالات كانت تفضّل التراجع، وقال مقرّبون منها إنها لم تكن ترى أن من دورها طرح مخاوفها بشأن قرار عسكرى أمام الآخرين، وكانت تعتقد أن خبرة مستشارين مثل الجنرال كين وراتكليف وروبيو أكثر أهمية أن يسمعها الرئيس.

ومع ذلك، فقد أعربت السيدة وايلز لزملائها عن قلقها من أن تجرّ الولايات المتحدة إلى حرب أخرى فى الشرق الأوسط. فالهجوم على إيران كان ينطوى على احتمال ارتفاع كبير فى أسعار الوقود قبل انتخابات التجديد النصفي، وهو ما قد يحدد ما إذا كانت السنتان الأخيرتان من الولاية الثانية لترامب ستكونان سنوات إنجاز أم مواجهة مع تحقيقات من الديمقراطيين فى مجلس النواب. لكن فى النهاية، أيدت السيدة وايلز العملية.

فانس المتشكك

ولم يكن هناك فى الدائرة المقرّبة من ترامب من كان أكثر قلقًا من احتمال الحرب مع إيران، أو بذل جهدًا أكبر لمحاولة منعها، من نائب الرئيس.

وقد بنى فانس مسيرته السياسية على معارضة هذا النوع تحديدًا من المغامرات العسكرية التى كانت قيد الدراسة الجدية، وكان قد وصف الحرب مع إيران بأنها «إهدار هائل للموارد» و«باهظة التكلفة بشكل كبير».

ومع ذلك، لم يكن من دعاة السلام فى كل الحالات، ففى يناير، عندما حذّر ترامب علنًا إيران من قتل المتظاهرين وتعهد بأن المساعدة فى الطريق، شجّع فانس الرئيس فى السر على فرض خطه الأحمر، لكنه كان يدفع باتجاه ضربة محدودة عقابية، أقرب إلى نموذج الضربة الصاروخية التى أمر بها ترامب ضد سوريا عام ٢٠١٧ بسبب استخدام الأسلحة الكيميائية ضد المدنيين.

ورأى نائب الرئيس أن حربًا لتغيير النظام فى إيران ستكون كارثة، وكان يفضّل عدم تنفيذ أى ضربات على الإطلاق. لكنه، إدراكًا منه أن ترامب من المرجح أن يتدخل بشكل ما، حاول توجيه القرار نحو عمل محدود، ولاحقًا، عندما بدا أن الرئيس عازم على حملة واسعة النطاق، جادل بأنه ينبغى تنفيذها بقوة ساحقة، على أمل تحقيق الأهداف بسرعة.

وحذّر فانس، أمام زملائه، من أن الحرب ضد إيران قد تؤدى إلى فوضى إقليمية وأعداد لا تُحصى من الضحايا، كما قد تفكك التحالف السياسى لترامب، وقد يُنظر إليها على أنها خيانة من قبل كثير من الناخبين الذين صدّقوا وعد عدم خوض حروب جديدة.

وأثار نائب الرئيس مخاوف أخرى أيضًا، فبحكم منصبه، كان مطلعًا على حجم مشكلة الذخائر لدى الولايات المتحدة، وقد تؤدى حرب ضد نظام يتمتع بإرادة بقاء قوية إلى ترك الولايات المتحدة فى وضع أسوأ بكثير لخوض صراعات لسنوات.

وقال نائب الرئيس لمقرّبين منه إن أى قدر من التحليل العسكرى لا يمكنه التنبؤ بدقة بما ستفعله إيران ردًا عندما يكون بقاء النظام على المحك، فالحرب قد تنحرف بسهولة فى اتجاهات غير متوقعة. كما رأى أن فرص بناء إيران سلمية بعد ذلك تبدو ضئيلة.

وفوق كل ذلك، كان هناك ربما الخطر الأكبر: تمتلك إيران أفضلية فى مضيق هرمز، وإذا تم إغلاق هذا الممر المائى الضيق الذى تمر عبره كميات هائلة من النفط والغاز، فإن العواقب داخل الولايات المتحدة ستكون شديدة، بدءًا بارتفاع أسعار البنزين.

تاكر كارلسون: ستدمر رئاسة ترامب

وقد زار المعلق تاكر كارلسون، الذى برز كأحد أبرز المشككين فى التدخل العسكرى داخل اليمين، المكتب البيضاوى عدة مرات خلال العام السابق لتحذير ترامب من أن الحرب مع إيران ستدمّر رئاسته.

وحاول ترامب قبل أسبوعين من اندلاع الحرب، طمأنته عبر الهاتف قائلًا: «أعلم أنك قلق، لكن كل شيء سيكون على ما يرام». فسأله كارلسون كيف يعرف ذلك، فأجاب: «لأن الأمور دائمًا كذلك».

وفى الأيام الأخيرة من فبراير، ناقش الأمريكيون والإسرائيليون معلومة استخباراتية جديدة من شأنها تسريع جدولهم الزمنى بشكل كبير، إذ كان المرشد الأعلى سيجتمع فوق الأرض مع كبار مسؤولى النظام، فى وضح النهار، وفى موقع مكشوف أمام هجوم جوي. وكانت فرصة عابرة لضرب قلب القيادة الإيرانية، من النوع الذى قد لا يتكرر.

ومنح ترامب إيران فرصة أخرى للتوصل إلى اتفاق يمنعها من امتلاك سلاح نووي، كما أتاحت الجهود الدبلوماسية للولايات المتحدة وقتًا إضافيًا لنقل أصول عسكرية إلى الشرق الأوسط.

وقال عدد من مستشاريه إن الرئيس كان قد حسم قراره فعليًا قبل أسابيع، لكنه لم يكن قد حدّد التوقيت بعد، وهنا حثّه نتنياهو على التحرك بسرعة.

وفى الأسبوع نفسه، اتصل كوشنر وويتكوف من جنيف بعد أحدث جولة محادثات مع مسؤولين إيرانيين بعد ان اختبرا خلال ثلاث جولات من المفاوضات فى عُمان وسويسرا، مدى استعداد إيران لإبرام اتفاق، وفى إحدى المراحل، عرضا على الإيرانيين وقودًا نوويًا مجانيًا طوال عمر برنامجهم – لاختبار ما إذا كان إصرار طهران على التخصيب يتعلق فعلًا بالطاقة المدنية أم بالحفاظ على القدرة على صنع قنبلة.

ورفض الإيرانيون العرض، واعتبروه اعتداءً على كرامتهم.

وعرض كوشنر وويتكوف الصورة أمام الرئيس، قائلين إن التوصل إلى اتفاق ممكن على الأرجح، لكنه سيستغرق أشهرًا، وأضاف كوشنر أنه إذا كان الرئيس يسأل عمّا إذا كان بإمكانهما النظر فى عينيه والقول إنهما قادران على حل المشكلة، فإن الأمر سيتطلب جهدًا كبيرًا، لأن الإيرانيين «يلعبون».

«أعتقد أننا بحاجة إلى القيام بذلك»

وفى يوم الخميس ٢٦ فبراير، نحو الساعة الخامسة مساءً، بدأ اجتماع أخير فى غرفة العمليات، وبحلول ذلك الوقت، كانت مواقف الجميع واضحة، فقد نوقش كل شيء فى الاجتماعات السابقة، وكان كل شخص يعرف موقف الآخر، واستمر النقاش نحو ساعة ونصف.

وجلس ترمب فى مكانه المعتاد على رأس الطاولة، وعن يمينه جلس نائب الرئيس؛ وإلى جانب فانس كانت السيدة وايلز، ثم راتكليف، ثم المستشار القانونى للبيت الأبيض ديفيد وارينغتون، ثم مدير الاتصالات فى البيت الأبيض ستيفن تشيونغ، وعلى الجانب المقابل من السيد تشيونغ جلست السكرتيرة الصحفية للبيت الأبيض كارولاين ليفيت؛ وعن يمينها كان الجنرال كين، ثم هيغسيث وروبيو.

وكانت مجموعة التخطيط للحرب محدودة للغاية إلى درجة استبعاد مسؤولين رئيسيين كانا سيحتاجان إلى إدارة أكبر اضطراب فى الإمدادات فى تاريخ سوق النفط العالمية، وهما وزير الخزانة سكوت بيسنت ووزير الطاقة كريس رايت، وكذلك مديرة الاستخبارات الوطنية تولسى غابارد.

وافتتح الرئيس الاجتماع قائلًا: «حسنًا، ماذا لدينا؟».

استعرض هيغسيث وكين تسلسل تنفيذ الهجمات، ثم قال ترامب إنه يريد أن يدور الحديث حول الطاولة لسماع آراء الجميع.

وتحدث فانس، الذى كان اعتراضه على الفكرة الأساسية معروفًا، مخاطبًا الرئيس: أنت تعلم أننى أعتقد أن هذه فكرة سيئة، لكن إذا أردت تنفيذها فسأدعمك.

وقالت السيدة وايلز لترامب إنه إذا كان يرى ضرورة المضى قدمًا من أجل الأمن القومى الأمريكي، فعليه أن يفعل ذلك.

أما راتكليف فلم يبدِ رأيًا بشأن المضى قدمًا، لكنه تحدّث عن المعلومات الاستخباراتية الجديدة اللافتة التى تشير إلى أن القيادة الإيرانية على وشك الاجتماع فى مجمّع المرشد الأعلى فى طهران.

وقال مدير وكالة الاستخبارات المركزية للرئيس إن تغيير النظام ممكن، اعتمادًا على كيفية تعريف المصطلح، مضيفًا: «إذا كان المقصود مجرد قتل المرشد الأعلى، فربما نستطيع فعل ذلك».

وعندما طُلب رأى وارينغتون، المستشار القانونى للبيت الأبيض، قال إن هذا الخيار مسموح به قانونيًا وفقًا للطريقة التى صاغ بها المسؤولون الأمريكيون الخطة وقدّموها للرئيس، ولم يقدّم رأيًا شخصيًا، لكن عندما ضغط عليه الرئيس لإبداء رأي، قال إنه بصفته محاربًا قديمًا فى مشاة البحرية كان يعرف جنديًا أمريكيًا قُتل على يد إيران قبل سنوات، وإن هذه القضية لا تزال شخصية للغاية بالنسبة له، وأضاف أنه إذا كانت إسرائيل تعتزم المضى قدمًا على أى حال، فينبغى للولايات المتحدة أن تفعل الشيء نفسه.

وعرض تشيونغ التداعيات المحتملة على صعيد الرأى العام: فقد خاض ترامب حملته الانتخابية على أساس معارضة الحروب الجديدة، ولم يصوّت الناس من أجل صراع خارجي، كما أن الخطط تتعارض مع كل ما قالته الإدارة بعد حملة القصف ضد إيران فى يونيو. وتساءل: كيف يمكن تبرير ثمانية أشهر من التأكيد على أن المنشآت النووية الإيرانية قد دُمّرت بالكامل؟ ولم يعطِ تشيونغ موافقة أو رفضًا، لكنه قال إن أى قرارٍ يتخذه السيد ترمب سيكون القرار الصحيح.

وقالت السيدة ليفيت للرئيس إن القرار قراره، وإن فريق الإعلام سيتولى إدارته بأفضل ما يستطيع.

واتخذ هيغسيث موقفًا مباشرًا ومحدودًا: قال إنهم سيضطرون إلى التعامل مع الإيرانيين عاجلًا أم آجلًا، وبالتالى فمن الأفضل القيام بذلك الآن، وقدّم تقييمات تقنية، موضحًا أنهم قادرون على تنفيذ الحملة خلال إطار زمنى معين وبمستوى محدد من القوات.

وكان الجنرال كين متحفظًا، إذ عرض المخاطر وما ستعنيه الحملة من استنزاف للذخائر، ولم يبدِ رأيًا؛ فموقفه كان أن الجيش سينفّذ إذا أصدر ترامب الأمر، وقد قدّم كل من القائدين العسكريين الأعلى للرئيس تصورًا لكيفية سير الحملة وقدرة الولايات المتحدة على إضعاف القدرات العسكرية الإيرانية.

وعندما جاء دوره، قدّم روبيو موقفًا أكثر وضوحًا، فقال للرئيس: إذا كان هدفنا تغيير النظام أو إشعال انتفاضة، فلا ينبغى أن نفعل ذلك، أما إذا كان الهدف تدمير برنامج الصواريخ الإيراني، فهذا هدف يمكننا تحقيقه.

وقد ترك الجميع المجال لحدس الرئيس، فقد رأوه يتخذ قرارات جريئة، ويخاطر بمخاطر هائلة، ثم يخرج منتصرًا بطريقة ما، ولم يكن أحد ليقف فى طريقه الآن.

وقال الرئيس للحاضرين: «أعتقد أننا بحاجة إلى القيام بذلك»، وأضاف أنه يجب التأكد من أن إيران لا تستطيع امتلاك سلاح نووي، وأنه يجب ضمان ألا تتمكن من إطلاق الصواريخ على إسرائيل أو فى أنحاء المنطقة.

وأبلغ الجنرال كين ترامب أن لديه بعض الوقت، وأنه لا يحتاج إلى إعطاء الضوء الأخضر حتى الساعة الرابعة مساءً من اليوم التالي.

وفى اليوم التالى بعد الظهر، وعلى متن الطائرة الرئاسية، وقبل ٢٢ دقيقة من الموعد الذى حدده الجنرال كين، أرسل ترامب الأمر التالي: «تمت الموافقة على عملية "الغضب الملحمي". لا إلغاء. حظًا موفقًا».

نيويورك تايمز

المشهد
العدد 349 – السنة الرابعة عشرة-الأربعاء 1 أبريل 2026 م – 13 شوال 1447 هـ

قالت العرب

ويبقى الرجلُ وحيداً، وعلى مهلٍ يمشي الطفلُ إلى أطرافِ حديقتهِ، يتسلّقُ أسوارَ الأيامِ، فيسقطُ في الصحراءِ، ويكبرُ، يأكلُ عشبَ الرملِ وتهربُ منه الريحُ، ويكبرُ، أتذكرُهُ الآنَ، يميلُ

أوقفوا ترامب | عندما يكون مصير العالم في قبضة مجنون

من يتابع تصريحات الرئيس الأمريكى دونالد ترامب على منصة "سوشيال تروث"، منصته الخاصة ليغرد عبر ما يشاء، والتى أطلقها عندما حظرت منصة "تويتر" السابقة تغريداته، وكذلك التصريحات التى يدلى بها فى مؤتمرات عامة مثل مؤتمر مستقبل الاستثمار فى فلوريدا يوم الجمعة الماضي، سيلاحظ دون عناء أننا أمام شخصية تعانى من اضطرابات نفسية وعقلية خطيرة تستدعى توقيع كشف طبى واتخاذ قرار بخصوص صلاحيته لرئاسة أقوى دول العالم تسليحًا، والصلاحيات الواسعة التى يمتلكها وتمكنه من شن العدوان على الدول الأخرى وإشعال حروب مدمرة ليس لخصومه فقط، وإنما يطول هذا التدمير الحلفاء، بل الدولة التى يقودها ذاتها، والتى تجسدها الحرب التى أطلقها بعدوانه على إيران، والتى لا يستطيع أحد وقفها.

فى رأى كثير من العلماء والمفكرين الغربيين والأمريكيين مثل عالم السياسة الأمريكي، من أصل سويسري، إيمانويل والرشتين، الذى وضع نظرية للنظام الرأسمالى العالمي، فإن المسألة تتجاوز ترامب وتعبر عن أزمة بنائية فى النظام الرأسمالى العالمى ذاته. كتب والرشتين الذى توفى فى عام 2019، فى مقالة له نشرتها مجلة "مانثلى ريفيو" الأمريكية، فى 30 مايو عام 2003، أى بعد أسابيع من غزو العراق والإطاحة بحكومة البعث بزعامة الرئيس صدام حسين، أشار إلى أن الأزمة التى يعانى منها النظام العالمى الذى يراه نظاما رأسماليا بامتياز، أزمة بنائية سببها الإمبريالية التى يرى أنها "جزء لا يتجزأ من الاقتصاد العالمى الرأسمالي"، وأنها "ليست ظاهرة استثنائية"، وستبقى موجودة طالما بقى الاقتصاد العالمى رأسماليًا. لكن الأهم هو ما لاحظه مع غزو العراق من أن هذه الإمبريالية تتخذ "شكلاً عدوانيًا وفظيعًا" و"باتت مستعدة الآن للتصريح بأنها إمبريالية". ومع ترامب دخلت هذه الإمبريالية طورا جديدا من الجنون المدمر.

لقد كانت علامات الاضطراب النفسى واضحة على ترامب منذ ترشحه لخوض الانتخابات الأمريكية فى عام 2016، وخلال فترة ولايته الأولى المضطربة (2016–2020)، وخلال السنوات الأربع فى ولاية جون بايدن الديمقراطية (2020–2024)، ومع هذا أعيد انتخابه بأغلبية كبيرة فى انتخابات عام 2024، استناداً إلى وهم تمكنت ماكينة حملته الانتخابية من بيعه للناخب الأمريكي، يتلخص فى أن ترامب هو الرئيس الوحيد القادر على وقف الحروب التى اتهم إدارة بايدن بأنه السبب فى اندلاعها، لاسيما حرب أوكرانيا، التى اندلعت فى فبراير 2022، وحرب غزة التى اندلعت فى أكتوبر عام 2024. وظل ترامب يروج لأكذوبة أنه استطاع وقف سبعة حروب فى العالم، بل طالب بأحقيته للفوز بجائزة نوبل للسلام 2025. ولم يفق العالم من هذا الوهم الكاذب، على الرغم من اتساع رقعة الحروب فى العالم، بسبب سياسات ترامب، إلا بعد وقوع كارثة حرب إيران صباح يوم السبت 28 فبراير. وربما يكون السؤال الأهم كيف تسمح الديمقراطية الأمريكية بوصول شخص مضطرب نفسيا وعقليا، وحديثه أقرب إلى هذيان شخص مصاب بجنون العظمة إلى الرئاسة؟ الإجابة على هذا السؤال لا تنفصل عن طبيعة الأزمة التى وصلتها الرأسمالية العالمية فى طبعتها الأكثر رداءة وانحطاطًا.

مفارقة القوة والضعف

بينما تركز ماكينة الدعاية الأمريكية ووسائل الإعلام والدعاية التابعة لها فى أنحاء العالم على القوة الاستثنائية التى تتمتع بها الولايات المتحدة، والتى تصر على أنها القوة الوحيدة فى العالم القادرة على فرض إرادتها على الآخرين، رغم مظاهر العجز الواضحة فى مواجهة كثير من الأزمات فى العالم، وفشلها فى إحداث أى فارق فى باكستان، مع مشاهد الانسحاب التى اتسمت بفوضى لا مثيل لها، وعجزها عن حسم كثير من الصراعات والحروب فى مناطق مختلفة، يرى والرشتين وغيره من علماء السياسية والاجتماع أن الشكل العدوانى للإمبريالية لا يعكس قوة الولايات المتحدة، كما يظن الواقعون تحت تأثير الدعاية الأمريكية، وإنما سبب هذه الروح العدوانية هو ضعف الولايات المتحدة الأمريكية وتراجع هيمنتها العالمية. وفى عام 2003، نشر والرشتين كتابًا بعنوان "انحسار القوة الأمريكية: الولايات المتحدة فى عالم من الفوضى"، صدرت ترجمته العربية فى عام 2014. إن حديث والرشتين وغيره من علماء مدققين عن تراجع القوة الأمريكية أو انحسارها يستند إلى تحليل رصين للاتجاهات العامة على مدى زمنى طويل أو ما يعرف بالمسار الطويل للتاريخ وهو منهج وضعه المؤرخ والمفكر الفرنسى البارز فرنان بروديل (1902–1985)، وطبقه هو وباحثون آخرون دراسة كثير من الاتجاهات التاريخية، فهو لا يعبر عن انطباع عام بتأثير حوادث راهنة، وإنما يرصد مسارات تاريخية طويلة الأمد، وتضع الحوادث فى سياقها.

وفق منهج المسار الطويل فإن مرحلة الهيمنة الأمريكية على العالم فى أعقاب الحرب العالمية الثانية فى عام 1945، مثلها مثل مرحلة الأحادية القطبية التى أعقبت انتهاء الحرب الباردة فى مطلع التسعينات، لم تكن سوى لحظة عابرة. فلم تستمر الهيمنة الأمريكية، التى تعنى اقتناع العالم الغربى على الأقل بأحقيتها فى زعامته، سوى 25 عامًا تقريبًا، إذ واجهت الولايات المتحدة صعوبات فى الفترة ما بين عامى 1967 و1973 بسبب ثلاثة أمور، أولها، أنها فقدت تفوقها الاقتصادى النسبي، نتيجة صعود أوروبا الغربية واليابان وتزايد قدرتهم على الدفاع عن أسواقهم، وغزو الأسواق الأمريكية، بما ترتب على ذلك من تداعيات سياسية. الأمر الثانى هو ثورة 1968 العالمية، التى أعلن المشاركون فيها رفض الهيمنة الأمريكية على العالم، ورفض تواطؤ الاتحاد السوفيتى مع هذه الهيمنة، والتى كانت بمثابة إعلان إفلاس اليسار التقليدى القديم، الذى يعبر عنه الأحزاب الشيوعية والأحزاب الاشتراكية الديمقراطية وحركات التحرر الوطنى التى لم يؤد وصولها إلى السلطة إلى تغير العالم، لكنه قوّض الأساس الأيديولوجى لاتفاقية يالطا، التى قسمت العالم بين القوى المنتصرة فى الحرب، والتى لم تشمل بلدان العالم الثالث التى رفضتها. فى هذه الفترة شهد العالم أربع هزائم كبيرة على الأقل للإمبريالية، فى الصين، فى عام 1948، وفى الجزائر وفى كوبا وفيتنام، والتى أعادت تشكيل الجغرافيا السياسية للعالم منذ السبعينات، حين بدأ المسار التاريخى لانحسار القوة الأمريكية.

لا تنحصر المشكلة فقط فى انحسار القوة الأمريكية وتراجعها وإنما تتمثل أيضًا فى تغيّر كيفية التعامل مع هذا التراجع، وفقدان الهيمنة. ويلاحظ من خلال مراجعة السياسة الخارجية والاستراتيجية الأمريكية منذ إدارة الرئيس الجمهورى ريتشارد نيكسون فى السبعينات، حتى مطلع الألفية مع إدارة الرئيس الديمقراطى بيل كلينتون، التعامل بأسلوب القفاز المخملى الذى يخفى قبضة حديدية، وإقناع أوروبا الغربية واليابان وغيرهما بأن الولايات المتحدة قادرة على التعاون؛ وأن بإمكان الآخرين تشكيل تحالف من شبه متساوين، مع ممارسة الولايات المتحدة "للقيادة". طرحت فى هذه الفترة أطر كثيرة للتعاون مثل اللجنة الثلاثية ومجموعة السبع، التى جرى توسيعها من خلال منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية ومجلس والمجلس الأطلسى ومجموعة العشرين، وما يُسمى "إجماع واشنطن" الذى تبلور فى ثمانينات القرن العشرين، الذى حل محل عقد التنمية الذى أعلنته الأمم المتحدة فى السبعينات، والذى قام على فكرة تحقيق التنمية من خلال نوع من السيطرة على ما يجرى داخل الدول القومية ذات السيادة. لكن فى مقابل هذا النهج التعاونى كان هناك تصور آخر فى الفكر الأمريكى يميل إلى العزلة والأحادية فى إدارة الشؤون الخارجية بما يتوافق مع ما يرونه فارق فى القوة الأمريكية يعكسه الأعباء التى تتحملها الولايات المتحدة. وتراوحت الإدارات التى تعاقبت على البيت الأبيض منذ الألفية الجديدة بين النزعة الانعزالية الأحادية وبين النهج التعاوني.

فى سياق هذا التردد بدأ التخلى عن النزعة التنموية والتقليل من شأنها، والتى فشلت بشكل واضح بحلول أواخر الثمانينيات، واستبدالها بالعولمة، والتى تعنى فتح الحدود، وإزالة الحواجز أمام حركة السلع ورأس المال، مع تقييد ذلك الانفتاح فى وجه قوة العمل، والسعى إلى بناء توافق أيديولوجى كم خلال منتدى دافوس، كملتقى لنخب العالم، بما فى ذلك نخب العالم الثالث، والعمل باستمرار على جمع ودمج أنشطتهم السياسية، وفى هذا السياق شنت الولايات المتحدة هجوما مضادا لليبرالية الجديدة على ثلاثة مستويات: خفض الأجور فى جميع أنحاء العالم؛ وخفض التكاليف على الشركات، بما فى ذلك القيود البيئية على نشاطها؛ وخفض الضرائب، التى كانت تدعم الرعاية الاجتماعية، أى دعم التعليم والرعاية الصحية وضمانات الدخل مدى الحياة، وأدى هذا الهجوم المضاد إلى تغير الاقتصاد السياسى للنظام العالمي، لكنه لم يوقف تراجع القوة الأمريكية، إذ لم تحقق الولايات المتحدة سوى نجاح جزئ طفيف فى هذه الأمور الثلاثة. فقد ارتفعت منحنيات التكلفة بشكل كبير فى وقت تتزايد فيه التهديدات التى تواجهها القوة العسكرية الأمريكية، خصوصًا مع الانتشار النووى وامتلاك دول صغيرة، مثل كوريا الشمالية أسلحة نووية، الأمر الذى يعنى تزايد صعوبة قيام الولايات المتحدة بأى عمل عسكري، ويزيد صعود الاتحاد الأوروبى من إحساس واشنطن بالضعف النسبى وتراجع القوة والنفوذ، إذ بات واضحًا أنها تعارض أى محاولة لإنشاء دولة أوروبية موحدة لديها قدرة على تحدى النفوذ الأمريكى لأن ذلك يعنى ببساطة أن تفقد الولايات المتحدة السوق الأوروبى وربما أسواق أخرى، بما فى ذلك السوق الأمريكى نفسه، وفى هذا السياق برز التحدى الصينى المتصاعد مع تزايد احتمالات بروز الصين كقوة عالمية تشارك الولايات المتحدة فى زعامة العالم وفرض معاييرها للنظام العالمي.

ترامب محاطا بالعدسات

انتهاء عصر النصر المبين

ربما كان التحول الأهم فى أعقاب انتهاء الحرب الباردة، هو انتهاء حقبة امتلكت فيها القوى الكبرى القدرة على تحقيق انتصارات حاسمة فى الحروب. ربما كان هذا التحول قد بدأ قبل ذلك بعقود، فمنذ حرب أكتوبر عام 1973، فإن الحرب تُدار للوصول إلى نقطة تعادل تنتهى عندها الحرب بعد تحقيق بعضًا من أهدافها الرئيسية وبما يسمح بعقد هدنة قد تؤدى إلى ترتيب تسوية أكثر استقرارًا أو لجولة أخرى من الحرب لتحسين شروط التسوية، وفق موازين القوى الجديدة. فلم تتمكن العراق ولا إيران من تحقيق انتصار بعد حرب استنزاف استمرت ثمانية أعوام، وكذلك انتهت الحرب الأفغانية بانسحاب القوات السوفيتية من أفغانستان دون اتفاق على ترتيبات ما بعد الحرب، لتترك الدولة فى قبضة الفصائل المسلحة التى تصارعت السلطة لتتحول إلى قاعدة للجماعات الإسلامية الجهادية التى شكلت تهديدا لأمن الدول والأمن العالمي. لم يتغير هذا الوضع حتى بعد تفكك الاتحاد السوفيتى والدخول فى مرحلة قصيرة من الأحادية القطبية، ولم يتمكن التحالف الدولى بقيادة الولايات المتحدة من تحقيق انتصار حاسم على العراق فى حرب الخليج الثانية التى انتهت بانسحاب القوات العراقية من الكويت بعد شهور من الغزو، ولم تتمكن واشنطن من توظيف قوتها ولا الدعم الدولى لحل مشكلتى أمن الخليج أو الصراع بين إسرائيل والفلسطينيين وكل من سوريا ولبنان.

ومع نهاية التسعينات وانتهاء الانتعاش المؤقت للاقتصاد الأمريكي، الذى لم ينعكس إيجابيًا غلى الاقتصاد العالمى الذى شهدت سلسلة من الأزمات، جاءت هجمات 11 سبتمبر 2001، التى أظهرت هشاشة الولايات المتحدة من ناحية، وبروز تهديدات جديدة لأمنها وأمن حلفائها من الجماعات الجهادية التى تشكلت فى إطار الحرب الأفغانية، الأمر الذى أدى إلى تزايد شعور الصقور فى السياسية الأمريكية بالقلق نتيجة تراجع القوة الأمريكية. ويرى والرشتين أن هؤلاء الصقور الذى جاءوا مع الإدارات الجمهورية منذ جورج بوش الابن، فى محاولتهم إحداث تغيير جذرى لسياسة "القفاز المخملي" والنهج المتعدد الأطراف الذى رأوا أنه فشل فى وقف تراجع القوة الأمريكية بل أدى إلى تسريع انحدار الولايات المتحدة، ويعتقدون أن من شأن الانخراط فى عمل إمبريالى صارخ وعلنى أن يوقف هذا التدهور، ومن ثم كان الغرض الأساسى لغزو العراق فى عام 2003، هو "إظهار قدرة الولايات المتحدة" لترهيب أى دولة فى العالم الثالث تسعى لامتلاك القنبلة النووية أو أسلحة الدمار الشامل وترهيب أوروبا والحلفاء الآخرين. وردت أوروبا على ذلك بالامتناع عن التصويت على مشروع قرار أمريكى فى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة فى مارس 2003، الأمر الذى أجبر واشنطن على سحب القرار كى لا يتعرضوا لمزيد من الإهانة سياسية، وفقدان الشرعية.

حاول المتشددون فى الولايات المتحدة التعامل مع هذا العصيان الأوروبى بالضغط من أجل توسيع الحرب من خلال الترويج لسؤال من التالى بعد العراق، وحديثهم عن محور الشر الذى يضم إيران وكوريا الشمالية ودول أخرى فى الشرق الأوسط وخارجه يتهمونها بدعم الإرهاب، لكن جرى التصدى لهذا النهج من داخل الولايات المتحدة، وتحديدا فى أبريل 2003، من خلال تصريح لورانس إيجلبرجر، وزير الخارجية فى عهد الرئيس بوش الأب، والمستشار المقرب لبوش الابن، للتحذير من محاولة غزو سوريا، وهو التصريح الذى يشير إلى معارضة شريحة مهمة من رأس المال الأمريكى والعالمى للمتشددين الذين سيطروا على أجهزة الدولة الأمريكية، وسعيهم لاستغلال الفرصة التى أتاحتها هجمات 11 سبتمبر لمواصلة الضغط، الذين يواجهون معارضة من رأسماليين آخرين يشعرون بالقلق من "الخيار شمشون" الذى يتبناه المتشددون. لكن الوضع الفوضوى المرتبط بأزمة الرأسمالية كنظام، يفرض وضعًا خارج عن السيطرة، لا سيما الولايات المتحدة، التى ستعجز حكومتها عن إدارة هذا الوضع.

هذه الحقيقة واضحة اليوم فى ضوء العجز الأمريكى عن حسم الحرب مع إيران أو حتى تحقيق أى من أهدافها الرئيسية المعلنة، أو حتى الحصول على حل يحفظ ماء الوجه، نظرًا لإصرار إيران على حرمانهم من ذلك الحل ورفضها خطة ترامب وشروطه لإنهاء الحرب، وطرحها شروطا مضادة معتمدة على قدرتها على تصعيد الحرب على إسرائيل بتوجيه ضربات مباشرة لها، أو بالاعتماد على حزب الله فى لبنان والحوثيين فى اليمن، وكذلك قدرتها على استهداف القوات العسكرية الأمريكية فى منطقة الخليج وفى محيطه القريب والبعيد. ويتجلى انحسار النفوذ الأمريكى فى حلف شمال الأطلسى ولدى الحلفاء الأوروبيين الذين أعلن بعضهم، مثل فرنسا وإسبانيا، رفض استخدام القواعد العسكرية الأمريكية على أراضيهم أو المجال الجوى فى الحرب على إيران. ورفضهم مساعدة ترامب فى هذه الحرب.

المشكلة لا تكمن فقط فى تراجع النفوذ الأمريكى وانحسار قوتها، وإنما تكمن فى إصرار إدارة ترامب، التى ترفع شعار "استعادة قوة أمريكا" على السير فى الاتجاه المضاد لحركة التاريخ. إنه يدرك كل يوم تستمر فيه الحرب عجز القوة الأمريكية عن حماية الأصول العسكرية الأمريكية فى المنطقة التى تقف عاجزة فى مواجهة إيران الأقل قدرة، وتعجز عن حماية الدول الحليفة التى تستضيف هذه القوات، لا يدرك ترامب، وبسبب ضعف واضطراب قدراته العقلية على ما يبدو، معنى تمديد الإنذارات التى يوجهها لإيران لقبول شروطه فى الوقت الذى تصعد فيها إيران وحلفاؤها الهجوم على إسرائيل، على نحو يهدد "حاملة الطائرات الأمريكية التى لا تغرق"، بالتدمير الذى يصعب تحمله أو تحمل نتائجه. ربما أدرك ترامب متأخرًا أن للقوة مهما بلغت حدودا لما تستطيع تحقيقه، حين لوح إلى أنه قد يقدم على خطوة متهورة بإعلان وقف الحرب وليحدث ما يحدث، وهو قرار يكشف أننا أمام شخص مختل لا يقدر عواقب تصرفاته وتهوره. فمثل هذه الخطورة قد تفتح الباب لوضع يخرج عن السيطرة تماما واللجوء إلى خيار هدم المعبد على رؤوس من فيه.

يتحدث كثير من المراقبين منذ بداية الحرب عن أن ترامب يبحث عن "صورة نصر"، ولو زائف، فى حين أن إيران التى تدرك جيدًا أن الجيش الأمريكى منى بهزائم مذلة أجبرته على الانسحاب من قبل، سواء فى فيتنام أو فى لبنان أو فى العراق وأفغانستان، وأن أمامها فرصة لإجباره على إنهاء الحرب دون إعلان انتصار، رغم الفارق الكبير فى ميزان القوة العسكرية بين الطرفين. وقد يكون هذا هو الخيار الأفضل إذا أراد أن يحتفظ بموطئ قدم فى المنطقة لكن هذا الأمر مرهون بقدرته على شل حركة شمشون، حليفه الوحيد فى هذه الحرب، وبالتجاوب مع جهود الوسطاء وفى مقدمتهم مصر والسعودية وباكستان وعمان وقطر، والتفكير مليًا فى ترتيبات ما بعد الحرب. الأمر معقود أيضًا على بروز من يستطيع وقف هذا الجنون فى واشنطن، واحتواء مغامراته وشطحاته. إن واشنطن بحاجة إلى إيجلبرجر آخر لإنقاذها من مواصلة حرب لا تشنها من أجل إسرائيل وإنما إنقاذ رئيس وزرائها بنيامين نتنياهو، وإنقاذ ما تبقى من سمعتها فى العالم. لن نتحدث الآن عن محاسبة ستأتى حتمًا لمن تسبب فى هذه الكارثة لإقدامه على عدوان كان بالإمكان تجنبه.

بقلم: أشرف راضي

فى ذكرى مولده، عرابى الذى أنصفه التاريخ قليلاً، وخذله كثيرًا

اليوم ذكرى مرور ١٨٥ عاما على مولد الزعيم أحمد عرابى باشا المولود فى يوم ٣١ مارس ١٨٤١ بقرية هرية رزنة – مركز منيا القمح، شرقية، ذلك الفلاح الذى خرج من قلب الريف ليقف فى وجه سلطة استبدّت بالبلاد، ويجهر بكلمة غيّرت مجرى التاريخ: لقد خلقنا الله أحرارًا ولم يخلقنا تراثًا أو عقارًا. قاد هذا الوطنى الشريف الثورة العرابية فى ١٨٨٧م بإيمان عميق بحق المصريين فى الحرية والعدالة والمساواة، رافضًا هيمنة طبقة بعينها على الملك، ساعيًا لإقامة حكم يقوم على المساواة والإنصاف.

ناصر يحيي ذكرى عرابي

غير أن التاريخ لم يكن منصفًا معه طويلاً؛ فقد صُوّر فى كثير من الفترات كسببٍ للهزيمة، وتُركت سيرته نهبًا للتشويه والإهمال، بينما كانت الحقيقة أن الرجل واجه ظروفًا أعقد من أن يتحمّلها فردٌ وحده: تدخل أجنبي، وانقسام داخلي، وتحالفات لم تكن فى صالح مشروعه الوطني.

ورغم وضوح هذه الحقائق وعدالة القضية التى حملها، فإن المفارقة المؤلمة فى مسار التاريخ أن الحق لا يجد دائمًا من ينصفه، كما أن الباطل لا يخلو أبدًا ممن يدافع عنه أو يبرره، فدائما وأبدا ستجد أنصارًا لأحط الشخصيات التاريخية والسياسية؛ الخديوى توفيق نفسه ستجد له أنصارًا فى التاريخ، وفى الحاضر، فأنصاره فكرة والفكرة لن تموت!

إبراهيم آغا كان توتونجى الخديوى توفيق باشا، والتوتونجى هو "الرصّيص" بتعبير هذه الأيام، المسئول عن "كيف" ولى النعم. استأذن الخديوى للدخول على عرابى فى محبسه، وأهانه وبصق عليه! وكوفىء عن ذلك بمساحة شاسعة من الأرض، هى ما تُعرف اليوم بمنطقة حدائق حلوان.

مكافأة العملاء وقطّاع الطرق ديدن ومنهاج؛ فما تعرفه اليوم فى محافظة الإسماعيلية باسم "أبو سلطان" كانت مكافأة لسلطان باشا (رئيس مجلس النواب) على وقوفه إلى جانب الإنجليز ضد عرابى باشا المكلوم. وكذلك سعود الطحاوى وما تملكه ذريته إلى الآن فى جزيرة سعود بمركز الحسينية – شرقية (عن آلاف الأفدنة أتحدث!)

بينما ظلت سيرة عرابى مقرونة بالعار والخيبة طوال فترة الاحتلال الإنجليزي، وبمباركة "النخبة المصرية" بداية من مصطفى كامل، مرورا بأحمد شوقى (ألمع وجه فى الثقافة المصرية وقتذاك) الذى أنشد يوم رجوع عرابى من منفاه قائلا: صغار فى الذهاب وفى الإياب.. أهذا كل شأنك يا عرابي! وصولا إلى كل باشوات وأغنياء هذا العصر.

عاش عرابى بعدٍ عودته من منفاه فقيرًا مهمشًا ومنسيًا، ويوم وفاته شيّعَهُ فى صمت عدد محدود، حتى أن أحدهم تساءل: من الميت؟! فقيل له: واحد اسمه عرابي! ولم يُنصَف عرابى (ولو بالكتابة) إلا بعد ١٩٥٢، بداية بإصرار المرحوم جمال عبدالناصر على تعليق صورته أثناء مباحثات الجلاء مع الإنجليز، ثم بعض الأقلام مثل محمود الخفيف وصلاح عيسى.

والخط الواصل بين عرابى (عدو الخديوى والإنجليز والنخب التركية – الشركسية) وعبدالناصر يفسر جزءًا كبيرًا من العداوة مع تجربة عبدالناصر: فكيف لفلاح صعيدى أن يكشف عورات طبقات صعدت وتبلورت وعاشت على الإرتزاق والعمل لدى المحتل، أو كشماشرجية عند ولى النعم بانتظار فتاته، فى عصر من كانت والدته تعمل "ماشطة" بالقصر الملكى يعد نفسه سيدًا على الفلاحين ويمتلك مئات الأفدنة.

قد يختلف الزمن، وتتبدل الأدوات، لكن المعركة واحدة: إرادة شعب فى مواجهة نفوذ وهيمنة. دفع عرابى ثمنَ البدايات، وحمل عبد الناصر عبء الاستكمال والنهايات، وبينهما سيرة وطن حاول أن ينهض رغم العثرات.

بقلم: د. أحمد عبدالعزيز بكير

اسمح لنا أن نختلف معك يا سيادة الرئيس

بداية؛ سيادة الرئيس، لا يطمح جل المعارضين فى منصب؛ وإنما يريدون الخير للبلاد جميعها؛ حاكما ومحكوما؛ ولقد أمر الله من هو خير منا جميعا بالاستماع لمن هم دونه قدرا ومنزلة؛ فقال لنبيه "وشاورهم فى الأمر"؛ ووصف الصالحين من عباده بأن "أمرهم شورى بينهم"

وفى سبيل انجاح ذاته ودعوته؛ استعان النبى فى مسيرته بأهل الكفاءة؛ ولو كان كافرا؛ وطلب العون من أهل المروءة؛ ولو كان على غير رسالته.

فتحكى لنا كتب التاريخ، أن النبى استعان فى رحلة الهجرة من مكة إلى المدينة بدليل مشرك، هو عبد الله بن أريقط الليثى (أو ابن أرقط)، خبير الطرق ومسارب الصحراء، والأكفأ فى مجاله.

كما طلب النبى وهو فى أضعف حالاته البشرية، جوار المطعم بن عدي؛ كى يدخل مكة فى حمايته بعد خروجه لرحلة قصيرة؛ دعا فيها أهل الطائف للإسلام فآذوه وضربوه وردوه على عقبيه.

لم يسمح سادة قريش بدخوله مكة تحت جوارهم؛ لكن المطعم بن عدى أجاره؛ وخرج متسلحا مع ابنائه؛ كى يحموا النبي؛ حتى يدخل بينه آمنا مطمئنا؛ وطاف بالبيت تحت حماية المطعم وأبنائه.

وفى أقوال الراجحين على مر التاريخ ما يدعونا للإستماع؛ فيقول الإمام على كرم الله وجهه: "من شاور الرجال شاركها فى عقولها؛ ومن أعجب برأيه ذل؛ ومن استغنى بعقله ضل."

استمع إلينا يا سيادة الرئيس؛ فلربما يأتى الربيع، والعام عام جوع فيكون فى وجهة نظر المعارض انقاذ للبلاد والعباد.

لقد ضرب الله لنا مثلا بنبيه يوسف عليه السلام وعزيز مصر؛ فقد سجنه الحاكم واتهمه فى شرفه؛ لكنه لم يستنكف أن يستعين به بعد إخراجه من السجن؛ بعدما تيقن من كفاءته.

طلب يوسف استوزاره مقدما مصوغات تعيينه" إنى حفيظ عليم" فقبلها الحاكم ولم يتردد.

رسائل سامية، فى تلك القصة؛ حتى لمعارضى الحاكم ولو كانوا سجناء عصره؛ ألا وهى "العفو الشامل" من جانبهم؛ بعدما كان العفو من جانب الحاكم أولا.

سعى يوسف للمصالحة وهو مظلوم؛ فطلب وساطة من توسم فيه خيرا؛ فقال للوسيط" إذكرنى عند ربك" لكن الوسيط نسي؛ حتى احتاج الحاكم ليوسف؛ فتدخلت الأقدار؛ ليصبح كلاهما فى خدمة الآخر.

لم يحمل يوسف حقدا فى قلبه على من اتهمه فى شرفه؛ بل تعاون مخلصا لإنقاذ العزيز والبلاد من المجاعة؛ لم يمكر به أو يستغل منصبه للإطاحة بالحاكم. ولم ينتهز فرصة؛ أن البلاد فى مجاعة؛ فيؤلب الناس على الحاكم الذى ظلمه، وحبسه، واتهمه فى شرفه.

تسامح الطرفان برقى مدهش؛ ولعل فى تلك القصة، وهى أحسن القصص؛ السبب الكامن لتسمية حاكم مصر بـ "العزيز"؛ فقد أعز الله به البلاد؛ فأخرجها من مجاعتها؛ استمع لمعارضيه؛ واستعان بأهل الكفاءة، ولو كانوا خصومه؛ فأعزه الله، وأعز به البلاد.

من رسائل تلك القصة البهية؛ أن معارض الحاكم، ولو كان سجينا مظلوما؛ فله أن يطلب العفو، ويسعى جاهدا إليه، ويطلب منصبا يرى نفسه أهلا له انقاذا للبلاد وخدمة للناس..

فقد طلب يوسف الوزارة التى تشبه وزارة المالية؛ فأخلص العطاء، والخدمة؛ دون ضغائن تجاه الحاكم عن فترة سجنه؛ تسامح وعفا وأصلح؛ فكان أجره على الله، أن يصلح عمله.

لم ينشغل يوسف حين أسند الأمر إليه بالثارات، والانتقام ممن ظلمه؛ وإنما تفرغ بالكلية لإنجاح نفسه أولا؛ وأنقاذ البلاد والحاكم من ثورة الجوعي.

اسمح لنا يا سيادة الرئيس أن نختلف معك، ونكون آمنين فى بيوتنا، ووظائفنا ومناصبنا؛ فربما تحتاج النصيحة فتطلبها ممن هم دونك، فيخشون الحديث بصراحة قد تغضبك؛ فيخيل إليهم أن ثمن إغضابك فقدانهم مناصبهم؛ فيؤثرون الصمت أو المداهنة، كى لا يكون رأيهم ثمنا فادحا يدفعونه من قوت أولادهم.؛ فلا أنت استفدت من عقولهم، أو وجودهم فى جوارك، ولا استفادت بهم البلد.

إن أحوج من نحتاج إليه الآن؛ هى ثقافة الاستماع وتقبل الآخر. فاضرب لنا فى ذلك مثلا؛ فإنا نرى وندرك زحف المجتمع نحو العنف السلوكي، والذى منبته إقصاء الآخر.

لا أحد يرغب أن يكون فاشلا يا سيدى الرئيس، ولو استعنت بأهل الكفاءة من المعارضين لك، لكانوا أكثر الناس اصرارا على النجاح؛ لأنه لا أحد يرغب فى أن يبدو فاشلا .وسيستعين كل منهم بمن هو كفء وتكون المحصلة نجاحا للجميع وأنت أولنا.

سدد الله خطاكم ووفقكم لكل خير يا سيادة الرئيس، ولو كانت لنا دعوة مستجابة، لجعلناها للحاكم؛ كما قال الإمام الفضيل بن عياض؛ والإمام أحمد بن حنبل؛ فبصلاح الحاكم تصلح الرعية والبلدان.

بقلم: معوض جودة

المشهد

قالت العرب

ويفتحُ نافذةً قد يدخلُ منها رجلٌ بجناحين، يعانقُهُ، ويطيرُ بعيداً نحو طفولته، يُدْنيه فيرتبكان، وتهبطُ فوقهما أخيلةٌ مثلُ غزاةٍ رحلوا، ونهاياتٌ مثل قصائدَ بشرٍ مُنسدلين على بشرِ أطهارٍ مفتونين.

عبدالمنعم رمضان (١٩٥١ - .....)

العدد 349 – السنة الرابعة عشرة-الأربعاء 1 أبريل 2026 م – 13 شوال 1447 هـ

«داود باشا» غريب الدارين ومأساة الهوية الممزقة فى الدراما المصرية

حين صاغ نجيب محفوظ شخصية «داود باشا بن يزيد المصري» فى روايته «حديث الصباح والمساء»، ترك ملامحها الأولى مفتوحة على احتمالات عديدة كما هو الحال مع جميع أبطالها، فى رواية تحكى تاريخ خمسة أجيال من أسرة يزيد المصري، منذ دخول الحملة الفرنسية حتى ثمانينيات القرن الماضي.

يحكى نجيب حكاية دواد فى نقلات سريعة خطفه وهو طفل، بأنه قد« وقع داود فى مصيدة التعليم ونجا عزيز بمعجزة ظلّ يحمد الله عليها حتى آخر عمره».. ثم سفره إلى فرنسا وعودته منها طبيبًا، ليجد والديه قد توفيا فى غيابه، ومن تقدمه لخطبة إحدى بنات الأتراك «تركية بدرب قرمز ... «آل رأفت» فأشار إليهم قائلًا: لعلهم يرضَون لبنتهم بطبيب عائد من فرنسا»، «لكن داود رُفض باعتباره فلاحًا حقيرًا، ولم يشفَع له علمهُ ولا زيُّه ولا وظيفته ... وتألّم الشابُّ»، فتم تزويجه أسرة الوراق، أسرة من أصل مصرى شامي، ووجدوا ضالتهم فى حفيدة الوراق الكبير سنية الوراق، الذين رحّبوا بالعريس، وتمّ الزفاف، ومضى داود بعروسه إلى بيت جديد بالسيدة، وقد أنجب منها ولدًا – عبد العظيم – وثلاث بناتٍ اختطفهنّ الموت صغارًا.

شخصية داوود باشا

الشخصية الحقيقية

كان هناك توافق بين داود زوجته فرغم جمالها ودرجتها الاجتماعية وتعليمها الأوّلى الساذج، لم تكن تختلف اختلافًا جوهريًّا عن أمّه فرجة السماك، ولا عن زوجة أخيه الأكبر نعمة المراكيبي.

ويكشف نجيب أن دواد لم يتحرّر من تقاليد الأسرة والبيئة، فكان يزور بيت الغورية بدافع الحب والواجب معًا، وهناك ينسى شخصيته المكتسبة تمامًا فيجلس إلى الطبلية ويأكل بشراهة السمك والطعمية وثريد العدسً والفسيخ والبصل الأخضر، ويتابع بعين العطف والمودة النامية بين عبد العظيم من ناحية وبين رشوانة وعمرو وسرور من ناحية أخرى، ويزور الحسين.... فى تلك الأوقات كان يرتد إلى داود الأول ابن يزيد المصرى وفرجة الصياد، ابن الغورية وروائحها الزكيةِ النافذة ومآذنها السامقة ومشربياتها المسربلة بالتاريخ» ولمّا بلِغ الدكتور الباشا الخمسين عشق جارية سوداء، وتزوّج منها، مُحدثًا فى الأسرة دهشة ومُثيرًا أقوالا. وقد اختار لها مسكنًا خاصًا فى السيدة. ويختم محفوظ قصته بأنه امتدّ به العمر حتى عصر الاحتلال وعاصَرَ مع أخيه الثورة العرابية، وأيّداها بالقلب، وتجرّعا مرارة سقوطها، ورحل الشقيقان فى عامَين متعاقبَين فى أوائل عهد الاحتلال، ودُفنا جنبًا إلى جنبٍ فى القبر الذى افتتحه يزيد المصري، حلّت بجناحه الحريمى فرجة الصياد، ونعمة عطا المراكيبى وسنية الورّاق، والجارية آدم فى قبرها الخاص.

لم يكتف نجيب بهذه الترجمة الصغيرة لداود وجاء جانب آخر منها فى ترجمته لابنه عبدالعظيم فيصف والداه – أى داود باشا – بأنه «أب يُعتبر من الرجال المعدودين فى عصره». وكذلك «خالط – أى عبدالعظيم – الأجانب من أقران أبيه الذين كثيرًا ما تناولوا عشاءهم على مائدته وتبادلوا الأنخاب. تقلّب بين التراث والمعاصرة». هذه الحياة الإفرنجية طغت على أسرة داود فينقل محفوظ عن ذلك «إذا ذهبِ عمرو إلى فيلّا السرايات فتواتيه غربة فى الجو «الإفرنجي» الذى يسود السلوك والعادات، من ذلك أن عبد العظيم باشا كان يفتح شهيته عادةً بكأسَين من الويسكي، أو يخاطب كريمتَيه فهيمة وعفّت أحيانًا بالفرنسية!».

ذلك الاغتراب يمتد إلى جيل الأحفاد، فقد تعلمت عفّت ابنة عبدالعظيم باشا بن داود باشا بن يزيد المصرى الفرنسية والإنجليزية والآداب وفن البيت والموسيقى، وتشرّبت روحها بتراث غريبٍ حتى ليُخيلِ للرائى أنها إفرنجيّة ذوقًا وعقلًا وتراثًا. ومع أنها لم تنطق بكلمة تخدش إيمانها إلا أنها عاشتِ حياتها وهى تجهل دِينها وتُراثها جهلًا تامًّا، ولا تجد فى ذاتها أى انتماء إلى وطنها رغم مُعايشتها لثورة ١٩١٩، لولا تعصُّب سطحى لموقف أبيها السياسى انطلقت إليه من منطلق الكبرياء والأسرة.

عناية استثنائية

هذه الشخصية التى رسمها محفوظ روائيًا فى أجزاء متناثرة من روايته كما رأينا لم تكتمل إنسانيًا إلا عندما أولاها محسن زايد فى معالجته الدرامية للتلفزيون عناية استثنائية، نفخ فيها من روحه، حتى تحوّلت إلى واحدة من أكثر الشخصيات حضورًا وعمقًا فى تاريخٍ الدراما المصرية، مضربًا للأمثال ومجالًا للقراءات الممتدة، مغيرًا الكثير من التفاصيل بها.

فى أيام الجامعة، كنتُ أربط بين داود وشخصيات أخرى جمعت بين التمزق الثقافى والاغتراب الداخلي، وهم «إسماعيل» فى «قنديل أم هاشم» ليحيى حقي، و«مصطفى سعيد» فى «موسم الهجرة إلى الشمال» للطيب صالح. وأضيف ثالثهم «داود المصري» كما صاغه محسن زايد فى المسلسل، جميعهم أبناء ثقافات مهجّنة، عاشوا تمزق الانتماء بين المشرق والغرب، بين الأصل الشعبى والطبقة الجديدة، بين ما نشأوا عليه وما حُمّلوا به بعد التعلم والسفر.

لكن ما يجعل داود المصرى حالة درامية متفردة، هو أن معاناته ليست فقط نفسية أو ثقافية، بل اجتماعية الطبقات بامتياز. خُطف صغيرًا على يد عساكر الوالي، فاقتُلع من بيئته الأصلية فى الغورية، ثم عاد إليها لبرهة قبل أن يسافر إلى فرنسا لدراسة الطب. عاد متعلمًا ومثقفًا، وترقّى فى السلّم الاجتماعى حتى نال الباشوية، لكنه ظل يعانى من شرخ داخلى لم يلتئم.

فهو ابن العطار وفرجة السماكة، لكنه فى الوقت ذاته طبيب متعلم من فرنسا، يعيش بين طبقتين لا ينتمى تمامًا لأى منهما. هذا الانقسام يتجلى حين يتقدم لخطبة فتاة تركية تُرفضه بسبب أصله، فيضطر للزواج من سنية الوراق هانم، التى قبله أهلها بوصفه مشروعًا اجتماعيًا واعدًا.

لكن داود، رغم ترقّيه الظاهري، ظل يحمل داخله الغورية، قيمها، لغتها، ناسها. ينفجر هذا التناقض فى مشهد مفصلى حين يرقص الخديوى مع زوجته، فلا يتذكّر تعليمه ولا مكانته الجديدة، بل يعود لا شعوريًا إلى جذوره، إلى ما نشأ عليه من مشاعر. وحين يتزوج من الجارية السوداء «جوهر»، يعلن تمرده النهائى على القيم الطبقية والتمييز الاجتماعي، ويصدم من حوله بقرار لم يكن متوقعًا من باشا.

مشهد بليغ

أحد أهم المشاهد الرمزية فى المسلسل، مشهد الباشا وهو يجلس يستمع إلى سينوفينات بيتهوفن، بينما تجلس جاريته تمسك له النرجيلة التى يدخن منها. مشهد بليغ يصور مزاجه المتشظي: بين الموسيقى الغربية الكلاسيكية وطقوس الحارة المصرية، بين الأرستقراطية والطبقة الشعبية، بين العقل والحنين.

وتبلغ درامية الشخصية ذروتها حين يُعيد محسن زايد توظيف قصة الحب القديمة: بعد وفاة عطا المراكيبي، يتقدم داود لخطبة هدى هانم، حبّه القديم، فى إحالة ذكية إلى رواية «الحب فى زمن الكوليرا». لكنها ترفضه، لتزيد من مأساة غربته، رغم أنها الوحيدة القادرة على فهمه بسبب ثقافتها وأسفارها.

ويصل المسلسل إلى قمة إنسانيته فى مشهد مؤثر، حين يُصر داود على رؤية حفيداته من ابنه، ويحتضن إحداهن باكيًا. هذا المشهد يكتسب بُعدًا أعمق لمن يقرأ رواية محفوظ، التى تخبرنا أن داود أنجب ثلاث بنات توفين وهن صغيرات. لو أشار المسلسل إلى هذا الحدث، لتحوّل المشهد إلى لحظة إنسانية نادرة، يبكى وهو يحتضن حفيدته لأنه لأول مرة يرى فيها ملامح بناته الراحلات.

حُكم على داود أن يظل غريب الدارين: لا الأرستقراطية تتقبله تمامًا، ولا طبقته الأولى تعيده كما كان. فى النهاية، ينسحِب من العالم، ويعود إلى الغورية، باحثًا عن السلام فى حضرة آل البيت، فى الموالد والحضرات، فى التصوف الشعبي، حيث يجد فىٍ أحضان التصوف سكينة غابت عنه طويلًا.

داود باشا بن يزيد المصرى وابن فرجة السماكة، تجسيد حى لصراع الهوية فى مصر الحديثة. هو ابن الصعود الطبقى الإجبارى فى حالته والتمزق بين الأصالة والمعاصرة، بين الجذور التى تربى فيها، والفروع التى انتزع إليها بالقوة. شخصية مفتوحة على التأويل مشروخة فى صميمها، تتأرجح بينٍ عالمين لا يجد فى أيّ منهما وطنًا. اختطف من تناغم الطبقات الشعبية، من سكينة الحارة وعفوية الحب الطفولي، نشأت بينه وبين «نعمة» قصة حب بريئة وحياة كان من الممكن أن تمتد فى مسارها الطبيعي. لكن عساكر الوالى خطفوه كما خطفت طفولته، وحرفوا مسار حياته نحو طريق يفترض أنه أفضل اجتماعيًا، لكنه على المستوى النفسى كان كابوسًا ممتدًا.

ذلك الاختيار الذى لم يكن له يد فيه، مزقه تمامًا، وجعل منه شخصية لا تعرف لأى طبقة تنتمي، ولا بأى قيم تعيش. عاش غريبًا، ومات غريبًا، لا هو من طبقة البشوات حقًا، ولا هو ابن الغورية كما كان. تمزّق داخلى لا تجبره المناصب ولا يشفيه التعليم ولا السفر.

د. عبدالكريم الحجراوي

كيف صور نجيب محفوظ تفكك القيم بعد النكسة فى «الحب تحت المطر»؟

ربط

نجيب محفوظ بين النكسة والمطر كاستعارة دلالية على توالى الكروب وانهمار الهزائم، وذلك فى مجموعته القصصية «تحت المظلة» أول أعماله المنشورة بعد النكسة، وظهر فى أول روايته بعدها «الحب تحت المطر». تتجلى هذه العلاقة فى قول أحد أبطال الرواية: «أيام الكروب تتابع كالممطر... الاحتلال، الاستقلال، 1956، اليمن، الاحتلال» (بيروت: دار القلم، ط1، 1977م، ص 73).، فى إحالة مباشرة إلى تاريخ مثقل بالانتكاسات المتعاقبة. نشرت الرواية كاملة لأول مرة عام 1973، ثم تحولت إلى فيلم سينمائى عام 1975، غير أنها تعرضت لتدخلات رقابية واسعة، حتى قال محفوظ إن لها ثلاث نسخ مختلفة، وهو ما وثقه محمد شعير فى مقاله «الحب تحت المطر: ماذا فعلت رقابة النكسة برواية نجيب محفوظ»، مقارنًا بين المخطوط الأصلى وبين ما نشر كاشفًا عن أثر المناخ السياسى فى تشكيل النص وحجبه ورفض صحفية الأهرام لنشره منجمًا كما كانت تفعل مع أعماله السابقة قبل الدفع بها إلى المطبعة.

توثق الرواية حالة العبث والإحباط التى أعقبت الصدمة العنيفة التى مر بها الشعب المصرى بعد نكسة يونيو، هزيمة أفضت إلى تفكك منظومة القيم وانتشار مظاهر التحلل الاجتماعي، ظهرت داخل الرواية فى العلاقات المفتوحة بين الشبان، الميل إلى الشرب واللهو، صعود السينما الرديئة. وهو ما يتكرر تاريخيًا فى المجتمعات التى تتعرض لصدمات كبرى فى أزمنة الحروب، فقد شهدت مصر عقب الحرب العالمية الأولى انتشار الفودفيلات الخليعة، ولا سيما تلك التى أخرجها عزيز عيد، وتكرر المشهد ذاته أثناء الحرب العالمية الثانية، وبلغ ذروته بعد نكسة يونيو فى نوعية الأفلام والمسرحيات التى قدمت آنذاك. وهو يفسره حسن حمودة المحامى والشخصية الجوهرية حين يقول: «كلما اشتد البلاء حق للإنسان أن يتفانىٍ فى البحث عن السعادة» (ص 77). رابطًا ما بين التحلل الاجتماعى والانغماس فى اللذة فى الوقت الذى تعانى فى الجماعة من أخطار داهمة. فعلى المستوى النفسى الجمعي، تحدث الصدمة العنيفة مثل نكسة يونيو انكسارًا فى صورة الذات الجماعية، ينهار الإحساس بالكفاءة والقوة، ويحل محله شعور بالعجز والمهانة. ما يولد حالة من القلق الوجودى وفقدان المعنى هو ما تعبر عنه إحدى بطلات الرواية «إننا نحيا بلا هدف» (ص41)، فيلجأ الأفراد إلى آليات دفاع نفسية بديلة، فى مقدمتها الهروب والإنكار، عبر الانغماس فى اللذة الفورية واللهو والشرب والعلاقات العابرة للهروب من الواقع المقبض.

كما أن الهزائم الكبرى تنتج حالة من التطبيع مع العبث، وهو ما ظهر فى جملة من قصص ومسرحيات محفوظ العبثية بعد النكسة، فإغراق الرواية فى الجانب المتعلق بالجنس لم يكن كما رأى البعض أن محفوظ جارى فيها الأفلام الاستهلاكية فى هذه الحقبة، فالأمر أكبر من ذلك وفى حقيقته رصد لعرض نفسى للهزيمة، الجنس يظهر فيها الجنس كألية للتعويض والهروب من الإحساس بالعجز والانكسار.

تحمل الرواية مجموعة من الثنائيات المهمة منها ثنائية الحارة والمدينة. حارة يجلس على مقهى فيها المصور حسنى حجازي، تشهد تحولات عنيفة عصفت بقيمها وتاريخها، فيها عشماوى الذى يعمل ماسح أحذية بلغ من العمر عتيا بعدما كان فتوة المنطقة يتحسر على الزمن القديم، تستنجد به امرأة عجوز لينتقم لها من الصهاينة الذين أصابوا حفيدها على الجبهة.

وفى المقابل تظهر المدينة، خاصة فى شارع «شريف» بوسط البلد الذى تدار فيها علاقات مشبوهة، وهو ما يتنافى مع اسم الشارع نفسه، اختلافات قيمية كبيرة بين العالمين وبين زمنين فى وقت مفصلى فى تاريخ الوطن.

تظهر المدينة بزحامها وغياب الثوابت الاجتماعية، وضياع البوصلة كما فى المشهد السابع «اكتظت ناصية الأمريكيين فلا موضع لقدم، تلاصق الشبان تحت الأضواء وانحصر المارة بين الأجسام الحارة الفتية وقل الكلام أو انعدم، وحملقت الأعين وتحركت بعض السيقان بالرقص الخفيف. وثار سالك بحريمه فى عباب الزحام غضبًا لكرامته الشخصية فيما بدا وصاح اخجلوا من أنفِسكم واذهبوا إلى الجبهة إن كنتم رجالًا» (ص28) يتردد فى حوارات الشباب أسئلة وجودية حول وجود الله، الجنس، النكسة، الرغبة فى الهجرة، الجنون، تقصى الضحك وألا يسمحوا لشيء أن يفسد عليهم حياتهم أى الإغراق فى الذاتية بعيدًا عن العالم الخارجى المحبط والمقبض، حالة من العدمية تسيطر على الشباب والجنون كما يقول الكهل حسنى حجازى «إن الجنون هو الطابع المميز لهذه الأعوام» (ص86).

نجيب محفوظ في رسم كاريكاتيري من الملتقى الدولي للكاريكاتير

الغلاف الأول لرواية الحب تحت المطر

تحولات اجتماعية

تناقش الرواية الفرق بين جيلين، جيل ما قبل يوليو وما بعدها، يظهر ذلك فى الحوار بين الأب زاهران وابنه وابنته عليٍ ومنى، جيل جديد «لا يرى الوطن أرضًا وحدودًا ولكنه وطن الفكر والروح» ويفكر دائمًا فى الهجرة. فيقارن الأب ذلك بموقفه المختلف على الوطنية «تألم الأب الذى ينسب إلى جيل 1919 جيل الوطنية المصرية الخالصة، واستمع إلى ابنه بانزعاج فخيل إليه أنه يطالع ظاهرة غريبة تستعصى على الإدراك والتفسير» (ص41).

وفى سياق مواز، تكشف الرواية عن تحولات اجتماعية عميقة تراجعت فيها القيم الأخلاقية التقليدية، ولم تعد تشكل مرجعية حاكمة للسلوك. فشخصياتها النسائية منى، عليات، سنية، فتنة، سمراء، نساء متعلمات تعليمًا جامعيًا، متحررات جنسيًا، وجدت بعضهن أنفسهن مدفوعات إلى علاقات عاطفية تحت ضغط الظروف الاجتماعية والاقتصادية، مثل سنية وعليات، بينما أقدمت أخريات على ذلك بدافع الحب ذاته. وتؤمن هذه الشخصيات بالمساواة وترفض التقاليد التى تحاكم المرأة أخلاقيًا بمعايير مزدوجة، ولا تطبق الحكم ذاته على الرجل.

سنية: هى تقاليد بلادنا

فهزت منى رأسها بعناد وقالت: إنى أرفض ذلك كله

فقالت سنية: إنهم معقدون ويحتاجون إلى ترويض طويل (ص38).

وهو ما يظهر فى رد فعل سنية على رأى أخيها فى الجبهة حول المرأة:

× ليس الرجل كالمرأة

فضربت الأرض بقدمها غيظًا ولكنها لم تنبس (ص16)

فى إشارة دالة إلى احتدام الصراع بين الوعى الجديد والبنى الذهنية التقليدية.

ترصد الرواية تحولات ثقافية جذرية هزت المجتمع، أحدث حالة من الصراع بين عالمين مختلفين من القيم، عالم المدينة وعالم الحارة الذى يمثله قول عشماوي: «ماذا جرى للدنيا، نسوان عرايا فى شوارع، ومساجين موظفون، ويهود غزاة» (ص 136). يعبر عن وعى مأزوم ينتمى إلى زمن آفل، يعجز عن استيعاب التحولات القيمية والاجتماعية التى فرضها الواقع الجديد. عشماوى «الفتوة» الذى جار عليه الزمن، وانتهى به المطاف ماسحًا للأحذية، فى مصير يتقاطع مع بطل قصة نجيب محفوظ «فتوة العطوف». ففى القصة، يخرج الفتوة من السجن وقد تجاوزه الزمن، ولم يعد لعنفه ومفاهيمه مكان فى عالم تغيرت قواعده، فيُجبر على العمل ماسحًا للأحذية فى إشارة انهيار منظومة اجتماعية كاملة كانت تقوم على القوة الفردية والهيمنة الشعبية. يتباكى عليها ويرى فى عودتها حلا لكل المشاكل التى تعانى منها مصر.

فى الرواية لم تكن الحارة بمنأى عن زحف المدينة وتحولاتها القيمية، تسللت مظاهر الحداثةٍ إلى فضائها المغلق، محدثة شرخًا عميقًا فى منظومتها الأخلاقية التقليدية. كما هو الحال فى شخصية عليات، ابنة عبده عامل المقهى، التى تنخرط فى علاقات عاطفية مفتوحة، فى سلوك يتناقض جذريًا مع قيم الحارة التى كانت تحاصر المرأة داخل حدود صارمة، وترفض خروجها من المنزل. تلك القيم التى يحملها أخيها إبراهيم الذى يعجب بصديقتها سنية ويسألها عن أخلاقها كشرط من شروط الارتباط بها.

جبهة ومدينة غارقة فى اللهو

ويقود هذا التصادم الحاد بين القيم القديمة والواقع الجديد الذى خلقته يوليو ونكسة يونيو إلى انفجار مأساوي، حين يُقدم عبده على قتل «سمراء» لأنها أخبرته بعلاقات ابنته خارج إطار الزواج، ثم يلوذ بالصمت رافضًا الإفصاح عن الدوافع الحقيقية للجريمة.

تقيم الرواية مقابلة حادة بين واقع الجبهة بما يحمله من موت وفقد وخراب، وبين واقع مدنى متحلل من القيم. تتساقط أرواح الجنود وتتحول مدن القناة، وعلى رأسها بورسعيد، إلى مدن أشباح ويعود المجندون قتلى أو بعاهات دائمة مثل إبراهيم ابن عبدة الذى فقد بصره على الجبهة.

وفى المقابل، ترسم الرواية صورة لمدينة أخرى غارقة فى اللهو والانفصال الأخلاقي، يجسّدها حسنى المصوّر الذى يعيش حياة مترفة قائمة على المتعة والاستهلاك، ويتعامل مع الحرب مادة للتصوير. ولا يختلف الوضع كثيرًا فى عالم السينما المنفصلة عن الواقع التى يذهب ممثلوها إلى الجبهة تحت لافتة الدعم المعنوي، ويقدمون الحرب بشكل تجارى هزلى على الشاشة، بينما حياتهم غارقة فى اللهو فى تباين واضح بين الشعارات والواقع. وتكتمل إباحية المدينة بشخصية سمراء التى تجعل من بيتها ماخورًا للنخبة، وإشباع رغباتها الجنسية الشاذة.

تقدّم الرواية، من خلال شخصية حسن حمودة، نقدًا لاذعًا لثورة يوليو، كاشفة عن أثرها العميق فى تفكيك طبقة اجتماعية كانت فاعلة فى الحياة الوطنية. موقف سياسى قدمه نجيب محفوظ فى أكثر من عمل لفئة أسعدتها نكسة يونيو نكاية فى النظام الذى سلب أموالهم. فحسن حمودة إقطاعى فقد ثروة ضخمة تقدر بنحو ألف فدان «فى ثانية واحدة» ما تسبب فى وفاة أبيه بأزمة قلبية، وألحق بأسرة شاركت فى الحياة الوطنية منذ الثورة العرابية وصمة اجتماعية وتشويهًا لسمعتها.

جعلته يملك تعريفًا خاصة للمجتمع من منظور فردى فيراه «الأرض التى يسعد فيها الإنسان ويُكرم».

ومن هذا المنظور، يجد فى هزيمة يونيو (النكسة) نوعًا من الانتقام الرمزى من السلطة التى أذلت أسرته واستحلّت ممتلكاتها. ويتجلى هذا الموقف بوضوح فى مخطوط الرواية، حيث يقول: «ولو أنهم انتصروا فى حرب يونية لهرستنا الأقدام الغليظة إلى الأبد. فالهزيمة رغم شرها لا تخلو من بركةٍ للمغلوبين على أمرهم!» (الاقتباس نقلًا عن مقال شعير).

غير أنّ هذا المقطع جرى تخفيف حدّته أثناء نشر الرواية، ليصبح: «لو أنهم انتصروا فى حرب يونية فماذا كان يفعل أمثالنا، فالهزيمة رغم شرها لا تخلو من بركة للمغلوبين على أمرهم» (ص 76).

وعلى المستوى السياسي، يرفض حسن حمودة التقارب مع الاتحاد السوفيتي، ويعبر صراحة عن ميله إلى النموذج الديمقراطى الأمريكي، ما يضعه فى مواجهة مباشرة مع الخطاب القومى الاشتراكي. ويظهر الصدام فى حوار دال، حين يُتهم ضمنيًا بأن هواه «مع جيش إسرائيل ضد جيش مصر»، فيتساءل مستنكرًا، لا يخلو من شعور بالاستياء: «أهذا هو توصيفك لموقفي؟» وحين يجاب بأن «المسألة مسألة موقف وطنيٍ قبل كل شيء»، يرد ساخرًا كاشفًا عن اختزال الوطنية فى خيار أيديولوجى واحد: «أى موقف وطني! إما الديمقراطية أو الاشتراكية، أمريكا أو روسيا، وإذا كان من حقكم أن تحبوا روسيا فلم لا يكون من حقنا أن نحب أمريكا» (ص 101).

تصورات مختلفة لمفهوم الوطن

من هذا المنظور، تطرح الرواية ما لا يقل عن ثلاثة تصورات مختلفة لمفهوم الوطن، تتوزع وفق الانتماء الجيلى والاجتماعى للشخصيات. فالتصور الأول يمثّله الشباب الذين فقدوا الثقةٍ فى الوطن، فلم يعودوا يرونه مجالًا لتحقيق الذات أو الكرامة، وهو ما يدفعهم إلى تفضيل الهجرة أو الانفصال عنه نفسيًا ووجدانيًا. أما التصوّر الثانى فيرتبط بـ جيل ثورة 1919، الذى أحب الوطن بالمعنى التقليدي، وطن التضحية والفداء، والاستعداد لبذل النفس فى سبيل الاستقلال والكرامة الوطنية، دون اشتراط مقابل فردى مباشر. يتمثل التصور الثالث فى الإقطاعيين الذين ينظرون إلى الوطن من زاوية الجرح الطبقي، يحملون ضغائن عميقة تجاه ما صنعته ثورة يوليو بهم، بعد أن جردتهم من الثروة والمكانة، فارتبط الوطن لديهم بالإقصاء والظلم.

فيظهر فى الرواية تفكك مفهوم الوطن من قيمةٍ جامعة إلى متنازع عليها وفقًا للموقع الاجتماعى والتجربة التاريخية لكل شخصية.

د. عبدالكريم الحجراوي

المشهد

تصدر عن شركة «المشهد» للصحافة والطباعة والنشر «ش.م.م»

مدير التحرير
محمد موسى

الإخراج الصحفى:
هالة سعيد - شيماء جمال

الإدارة والإعلانات والاشتراكات
٤٥ ش عبدالرحيم صبرى. الدقى
ت: ٠١٠١٩٤٤٤٠٠٣ـ ٣٧٧٢٢٠٣٤
فاكس: ٣٧٧٢٢٠٣٤
البريد الإلكترونى
almash.had@yahoo.com
التوزيع والاشتراكات: مؤسسة الأهرام

العدد 349 – السنة الرابعة عشرة-الأربعاء 1 أبريل 2026 م – 13 شوال 1447 هـ

"تكلم حتى أراك"

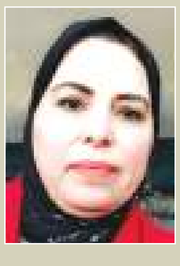

بقلم: سحر عبدالرحيم

حكمة شهيرة منسوبة للفيلسوف اليونانى سقراط، تعنى أن جوهر الإنسان وحقيقته تظهران من خلال كلامه ومنطقه لا من شكله ومظهره.

كتير من الناس يظلون محتفظين بصورة ذهنية متألقة طالما التزموا الصمت وقلة الكلام، لكنهم حين يتكلمون يخسرون الكثير من مزاياهم التى منحهم إياها الصمت دون تدخل منهم.

وربما أكثر الناس الذين يجب أن يكون كلامهم بحساب وفى حدود معينة هم الرؤساء والوزراء.

ويعد الرئيس الأمريكى ترامب نموذجا فجا لهذا المثل (تكلم حتى أراك) فقد رأيناه جميعا وأدركنا مستوى تفكيره وذكائه، وهو لديه قدرة غريبة على الكلام لساعات وساعات دون تعب أو خجل مما يقول، سواء كان حديثه عن رغبته فى الاستيلاء على دولة ما أو جزيرة ما ، أو التفاخر بسرقة وابتزاز دولة أخرى. وهو بالتأكيد سيجنى ثمار ما يقول فيما بعد وسيكتب عنه التاريخ مالم يقله عن غيره من الرؤساء كأكثر رئيس يلقى بأكاذيب يومية على مسامع العالم ، فقد سجلت تقارير إحصائية نشرتها صحيفة "واشنطن بوست"، أن دونالد ترامب أدلى بـ ٣٠،٥٧٣ ادعاءً كاذبا أو مضللا خلال فترة ولايته الأولى التى استمرت أربع سنوات. واستمر على هذا النهج خلال الفترة التى قضاها فى ولايته الثانية وربما بعد نهايتها يتضح للجميع أن أكاذيبه تضاعفت وكانت عبئا خطيرا على مؤسسات الدولة ومهددا لها ولسلامتها، وعبئا مهينا بصورتها أمام العالم.

عادل إمام كان يمتلك ذكاء إعلاميا فطريا

والساسة ليسوا كالصحفيين ولا الإعلاميين وظيفتهم الكلام ، لذلك جعلوا لكل جهة أو مؤسسة متحدثا رسميا باسمها يكتب الكلمة قبل أن يتفوه بها، ويزن الكلمة قبل أن يلقى بها على مسامع الناس، وهو مدرب بشكل جيد للتعامل مع الصحفيين ومواجهة انتشار الشائعات والأخبار الكاذبة التى قد تمس الأمن القومي، وهو أمر قد لا يجيده الوزير أو المسئول.

والمتحدث الرسمى وظيفة قديمة وراسخة فى الدول الغربية، حيث ارتبطت بتطور العلاقات العامة والاتصال السياسى فى أوائل القرن العشرين، لكنها وظيفة مستحدثة فى الدول العربية، وربما بدأ استحداثها بالوزارات والجهات الحكومية المصرية عقب ثورة يناير ٢٠١١ ، لمواجهة الشائعات وتوحيد الخطاب الإعلامى لمؤسسات الدولة خلال تلك الفترة التى تزامنت مع انتشار واسع لوسائل التواصل الاجتماعى وما صاحبها من فوضى إعلامية شكلت خطورة على بنيان المجتمع ومؤسساته.

والمتحدث الرسمى ليست وظيفة شكلية ولا "كمالة عدد" للوجاهة المؤسسية، لكنها وظيفة هامة تحمى المسئول من الانزلاق فى مكامن الخطر، أو تصيد الأخطاء الحوارية، وتحفظ له هيبته ومكانته وتحمى المجتمع من كثرة القيل والقال وفقدان الثقة فى تصريحاته.

وفى الحقيقة نحن فى حاجة إلى عودة المسؤولين إلى مرحلة ما قبل الفوضى الإعلامية، التى لم نكن نرى فيها مسؤولا يظهر فى برامج التوك شو بأحاديث مرتجلة، وتتم مساءلته علنا على كل الشاشات، بل كان يتم ترتيب لقاء صحفى أو تليفزيونى محترم يحفظ للمسؤول هيبته واحترامه ويبعده عن زلات اللسان التى قد يقع فيها فى برامج الهواء.

ويحضرنى فى هذا المقال الفنان عادل إمام الذى كان يمتلك ذكاء إعلاميا فطريا، فكان يؤمن بأن كثرة الظهور الإعلامى قد تحرق نجومية الفنان وتُفقد الجمهور الشغف لمتابعة أعماله، لذلك كان نادر الظهور فى البرامج وعلى الشاشات وكان ظهوره مقننا ومدروسا فاحتفظ بنجاحه وبريقه الفنى حتى الآن.

أخيرا أهمس فى أذن ساستنا المحترمين بضرورة الاعتماد على المتحدث الرسمى فى توصيل الرسائل السياسية، وعدم الظهور فى برامج التوك شو أو اللقاءات التليفزيونية إلا تلك التى تم الإعداد لها مسبقا وبشكل لائق ومحترم يكفيهم شر زلات اللسان، فكثير منهم قبل أن يتكلم كان يحتفظ بكاريزما مبهرة شيمتها الصمت، ثم زالت هذه الكاريزما بعد أن تكلم وارتجل الحديث وأصبح ضيفا دائما على برامج التوك شو.

أزمة مضيق هرمز:
قراءة فى الأبعاد الاستراتيجية للتصعيد

بقلم: د.طه على أحمد

أسفرت الحرب الجارية فى الشرق الأوسط عن تداعيات خطيرة على أحد أهم الممرات البحرية فى العالم، وهو مضيق هرمز الذى يربط الخليج العربى بخليج عمان وتمر عبره ما يمثل ٢٠٪ من تجارة النفط العالمية، إذ أضحى المضيق شبه مغلق أمام جزء كبير من حركة الملاحة الدولية. وفى محاولة لاحتواء الأزمة، دعت الإدارة الأمريكية عددًا من الدول الأوروبية وحلفاءها فى منطقة المحيطين الهندى والهادئ إلى المشاركة فى عملية بحرية لمرافقة السفن العابرة للمضيق.

غير أن هذا المقترح لم يلقَ استجابة واسعة؛ إذ رفضت عدة دول أوروبية، إضافة إلى أستراليا، المشاركة فى مثل هذه العمليات، بينما فضلت دول أخرى مثل الصين واليابان وكوريا الجنوبية تبنى موقف حذر ومحايد، مكتفية بمتابعة التطورات دون التورط المباشر فى الصراع، وهو التحفظ الدولى الذى يعكس حالة القلق المتزايد من الانخراط فى نزاع عسكرى معقد لا يستند إلى غطاء قانونى دولى واضح.

وعلى الصعيد الدولي، فإن أحد أبرز أوجه الجدل المحيط بالتصعيد العسكرى الحالى يتمثل فى مسألة شرعيته القانونية، فالحرب التى اندلعت ضد إيران لا تستند إلى قرار صادر عن مجلس الأمن الدولى الأمر الذى يجعلها، من منظور القانون الدولى موضع تشكيك واسع. وفى ظل غياب مثل هذا التفويض، لا تجد الدول الأخرى أساسًا قانونيًا واضحًا يبرر مشاركتها فى العمليات العسكرية أو فى المهام المرتبطة بها، مثل عمليات مرافقة السفن عبر المضيق.

ورغم أن كلًا من الولايات المتحدة وإيران وقعتا على اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار، فإن أيًا منهما لم يصادق رسميًا على هذه الاتفاقية. ومع ذلك، ظلت إيران فى معظم الأحيان ملتزمة عمليًا بقواعد الملاحة الدولية، حيث أدارت حركة السفن فى مضيق هرمز وفق نظام لتنظيم المرور البحرى يقوم على مسارين منفصلين للملاحة. لكن مع تصاعد التوتر العسكري، شهد المضيق سلسلة من الهجمات على سفن تجارية، كما فرضت إيران نظامًا للتحقق من السفن العابرة يسمح بمرور السفن التابعة للدول التى تعتبرها صديقة، ما أدى عمليًا إلى تقييد حرية الملاحة فى هذا الممر الحيوي.

وعلى جانب آخر، أدت العمليات العسكرية الجارية إلى اضطراب ملحوظ فى أسواق الطاقة العالمية، حيث أثرت التوترات الأمنية فى مضيق هرمز على تدفقات النفط والغاز. ومع ذلك، يبقى السؤال المطروح: ما الهدف الاستراتيجى من هذه الحرب؟

يرى منتقدو السياسة الأمريكية أن الرئيس دونالد ترامب اندفع نحو التصعيد العسكرى مستندًا إلى تجارب سابقة خلال ولايته الثانية، مثل الضربة التى استهدفت المنشآت النووية الإيرانية عام ٢٠٢٥، وكذلك العملية العسكرية التى استهدفت القيادة السياسية فى فنزويلا مطلع عام ٢٠٢٦. وقد عززت هذه العمليات، وفق بعض التحليلات، قناعة لدى ترامب بإمكانية تحقيق مكاسب سياسية سريعة عبر القوة العسكرية.

غير أن غياب أهداف واضحة للحرب، وعدم التشاور مع الحلفاء التقليديين للولايات المتحدة، إضافة إلى عدم الحصول على دعم صريح من الكونغرس الأمريكي، كلها عوامل تدفعنا نحو وصف التدخل العسكرى الأمريكى بأنه خطوة محفوفة بالمخاطر أدخلت واشنطن فى مأزق جيوسياسى معقد.

وفى حين تقترح الإدارة الأمريكية تنفيذ عمليات بحرية دولية لمرافقة السفن التجارية عبر مضيق هرمز، وهى إجراءات عادة ما تستخدم فى أوقات الحرب لحماية السفن المدنية أثناء عبورها مناطق النزاع، يبدو أن الوضع الراهن يختلف عن حالات النزاع التقليدية، إذ لم يتم إعلان الحرب رسميًا على إيران، ما يجعل الإطار القانونى لمثل هذه العمليات غير واضح.

إضافة إلى ذلك، لم يعد الصراع مقتصرًا على الولايات المتحدة وإيران فقط، بل امتد تأثيره دول أخرى طالتها الهجمات الإيرانية فى الخليج العربي، بزعم الرد على الهجمات الأمريكية والإسرائيلية كونها انطلقت من أراضى هذه الدول، ورغم أن هذه الهجمات استهدفت فى البداية قواعد عسكرية أمريكية، لكنها لاحقًا شملت منشآت مدنية واقتصادية وبنية تحتية فى المنطقة.

وعلى ذلك، يمكن القول إن أى عملية بحرية متعددة الجنسيات لمرافقة السفن لن تكون كافية لمنع استمرار التوترات أو الحد من تداعياتها الاقتصادية على المستوى العالمي. ورغم أن الرئيس الأمريكى يميل نحو مقارنة فكرة مرافقة السفن فى مضيق هرمز بالعمليات الدولية الناجحة لمكافحة القرصنة فى خليج عدن، لكن هذا القياس يظل محل جدل، نظرًا للاختلاف الكبير بين طبيعة التهديدين.

واستراتيجيا، ونظرا لأهمية مضيق هرمز كونه يعد أحد أهم الممرات البحرية لنقل الطاقة فى العالم؛ إذ يمر عبره جزء كبير من صادرات النفط والغاز من منطقة الخليج إلى الأسواق العالمية، فإن أى اضطراب فى حركة الملاحة داخل المضيق قد يؤدى إلى تداعيات اقتصادية عالمية واسعة، بما فى ذلك ارتفاع أسعار الطاقة وزيادة حالة عدم اليقين فى الأسواق. وفى هذا السياق، يمنح موقع المضيق إيران أداة ضغط استراتيجية مهمة، فحتى دون اللجوء إلى إغلاقه بالكامل، يمكن لطهران التأثير فى حركة الملاحة عبر إجراءات مختلفة، مثل التفتيش البحرى أو استهداف السفن أو التهديد باستخدام الألغام البحرية، وإن كانت ثمة رؤية بأن فرض حصار كامل عبر زرع الألغام البحرية قد لا يكون خيارًا مفضلًا لإيران، لأن عمليات إزالة الألغام لاحقًا غالبًا ما تقع تكلفتها الأساسية على الدولة الساحلية نفسها، لكننا نرى أن الخيار التحليلى الأمثل هو التأنى فى الحكم على مثل هذا التوجهات التى ترتبط بكثافة العمليات والدواعى التكتيكية بحسب تقديرات الجانب الإيرانى نفسه.

بشكل عام، وفى ظل هذا التطورات فإن أبرز ما يميز المشهد العام هو غياب اليقين بشأن الأهداف الاستراتيجية للعمليات العسكرية الجارية، فغياب رؤية واضحة للحرب يزيد من مخاطر انزلاق الولايات المتحدة إلى صراع طويل الأمد، على غرار الحروب الممتدة التى خاضتها خلال العقود الماضية فى إطار مكافحة الإرهاب. لاسيما وأن بعض الحلفاء التقليديين للولايات المتحدة، مثل كوريا الجنوبية، أبدوا استياءهم من طريقة إدارة الأزمة، إذ نقلت واشنطن منظومات دفاعية متقدمة من كوريا الجنوبية إلى الشرق الأوسط فى وقت سابق ودون تنسيق مسبق، أى قبل أن تطلب لاحقًا مشاركة بحرية كورية فى عمليات تأمين الملاحة فى مضيق هرمز.

بعبارة أخرى، فإن أزمة مضيق هرمز تبدو أكثر من مجرد أزمة ملاحية أو عسكرية عابرة؛ فهى تعكس تعقيدات التوازنات الجيوسياسية فى الشرق الأوسط، وتكشف فى الوقت نفسه عن المخاطر التى قد تترتب على التصعيد العسكرى غير المحسوب. كما أن استمرار التوتر فى هذا الممر الحيوى قد يؤدى إلى تداعيات تتجاوز حدود المنطقة، ليؤثر فى استقرار الاقتصاد العالمى وأمن الطاقة الدولية. ومن ثم، فإن معالجة الأزمة تتطلب مقاربة استراتيجية أكثر توازنًا، تقوم على وضوح الأهداف السياسية والعسكرية، وتعزيز المسار الدبلوماسى لتجنب انزلاق المنطقة إلى مواجهة أوسع يصعب احتواؤها.

جريمة كرموز.. متى يرمش جفن الحكومة!!

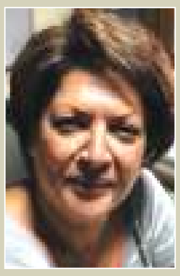

بقلم: منى ثابت

مرت مذبحة كرموز مرور الجرائم المعتادة، حادثة تجاوزها المجتمع لتكرارها، ومرت!! لم ترمش جفنا للحكومة ولا للإعلام!! كله يقرأ فضولا فقط، ويقلب الصفحة واثقا من ختام الحدوتة بحكم إدانة الفرد القاتل فقط! لم ينتفض اعلام وطنى ولا تزلزلت مجالس متخصصة من جريمة عجز وخوف من جوع! أن ينجح شاب – ٢١ عاما – فى تنفيذ خطة قتل أمه وإخوته الخمسة تحت ضغط وسواس قهري، ويعيش يومين مع الجثث عاجزا عن قتل نفسه.. مأساة لم تتكشف إلا بعد محاولته الانتحار علنا من سطح المنزل! منعه الجيران، وقالوا فى التحقيقات المنشورة أن الأم كانت اليائسة، اكتأبت نتيجة طلاقها ومرضها وخوفها على أولادها الستة، وصرحت لهم بنية قتل كل الأسرة لترحمهم من الجوع والذل "نموت سوا أحسن"!! اعترف القاتل تفصيليا فأحالوه للكشف النفسي.. لكنى أتوقف أمام تصريح الأم لجيرانها وتوقعهم التنفيذ!

سؤالى هو، لماذا لم يفكر الجيران فى أبسط الحلول لإنقاذ الأسرة، وهو طلب (١٦٠٠٠) الخط الساخن لنجدة الطفل!! أو خط المشورة الأسرية (١٦٠٢١) الأمومة الطفولة.. أو خط شكاوى المرأة (١٥١١٥).. أو بلاغ للنجدة أن أنقذوا جارتنا!

إجابتى هى أنه لا أحد يعلم بوجود هذه الخدمات.. وإن شاف اعلاناتها صدفة لا يصدق.. وإن علم وصدق يخشى من التورط فى مسؤولية ما.. وغالبا إعلانات هذه الخدمات قاصر على فئات مثقفة، وغير موجه أساسا إلى كرموز وأخواتها!! أما الجيران فغالبا قدموا مساعدات انتهت باغلاق أبوابهم لأن الغلاء بات يدهس الجميع!!

جريمة كرموز تستدعى فتح ملف أمان وسلامة المواطن

إذن الجانى ليس مجرد قاتل مضطرب نفسيا، ولا أم يائسة.. لكنه فشل هذه المؤسسات فى الالحاح على الأطفال لحفظ تليفون وعلامة – لوجو – كل احتياج لو تعرض لخطر.. بكتابتها على غلاف كتب وكراريس المدرسة ومداخلها، شرحها وتكرارها فى حصص النشاط والمسابقات، فى النوادى وعلى أغلفة الحلوى، وبرامج الأطفال، ونجحت بعض المسلسلات مؤخرا فى ذلك.. لهذا أطالب بإدانة ومحاكمة كل هذه الجهات لسوء الإدارة.. فقد سبق الجريمة أكثر من إنذار بشهادة الجيران!! رعب أم مطلقة مريضة فقيرة أثمر اكتئابا وانحرافا، تفكير خطط ونفذ جريمة قتل جماعي، هى صفعة لمؤسسات خدمية ميزانياتها من ضرائبنا، ولا ترى المستهدفين !!

أخشى أن تتحول هذه الجريمة إلى تريند مع قسوة الغلاء حاليا.. وانضمام الطبقة المتوسطة للطبقة المسحولة.. لذلك أطالب إعلام الدولة الحديثة بأداء دوره الوطني.. وهو عرض صورة حية تشمل كل ما يتعلق بالجريمة.. إعلان التفاصيل يوقظ الوعى ويحمى من تكرار الجريمة.. واستمرار تتبع مسار التحقيق، بدءا من الكشف النفسى عن الجانى والوصول إلى الزوج الهارب من المسؤولية.. على الإعلام محاسبة مؤسسات خدمية لا تعرف عنوان مستحقيها!! ملء ساعات الارسال بتفاهات التغييب يضع الإعلام شريكا فى جرائم تزلزل سلامنا.. هذه الجرائم لا تعالج بخبر سطرين وراح لحاله!! مثل جريمة سفاح الجيزة ٢٠٢٢ (قتل زوجته وأصدقاء وضحايا آخرين، وحُكم عليه بأربعة اعدام وواحد مؤبد).. ومذبحة كفر الدوار ٢٠٢٠ – إعدام جزار مسجل خطر مر بضائقة مالية فسرق أربعة مواشي، وذبح ٧ من أسرة واحدة، وأشعل النار لإخفاء جثث الشهود"!!

زمان أيام الاحتلال ١٩٢٠ زلزلت ريا وسكينة كيان المجتمع المصري.. فتحولت القضية إلى دراما أمن قومي، ترصد الواقع لايقاظ الوعى ولإدانة ضعف الأمن.. الفن قدمها كوميديا تناسب ثقافة المصريين، وعاشت رغم تدهور الفن والتربية بتعليم فك الخط فقط.. لما يكبر يتعلم قوانين حماية حقوق الانسان وواجباته نحو نفسه ووطنه ، ويتدرب عليها لما يغلط ويتسجن !!

جريمة كرموز تستدعى فتح ملف أمان وسلامة المواطن، تحتم مراجعة الحكومة للملف التعليمى والتربوى خارج المنابر والكتاتيب، وبرامج توزيع المعونات وإعلانات التبرع.. لأن مساحة المعدمين مع أزمة الحروب فى ازدهار !!

قاتل أمه وإخوته ضحية خوف من غد بعيد جدا عن فمه، ويده، ومسكنه وقدراته! تشريح جريمة كرموز هو حجر أساس لمصر الجديدة.. وحجر ألقيه على مكاتب خبراء مناهج ابتدائى قد يوقظهم لتصحيح لغة تواصلهم الأعجمية بأولادنا!

جريمة كرموز هى درس القاتل، وصراخ الضحايا، افتحوا لتسمعوها.

دخلت بإجراء بسيط وخرجت جثة:
٤٧ يوما فى العناية المركزة تنتهى بوفاة بسبب عدوى داخل مستشفى

لم تكن تتخيل ان رحلة علاج والدتها ستتحول إلى مأساة.. دخلت الأم إلى المستشفى لاجراء بسيط.. حالتها مستقرة وكل المؤشرات الطبية كانت مطمئنة.. لم يكن هناك ما يدعو للقلق سوى انتظار الخروج والعودة إلى المنزل..

لكن ما حدث داخل جدران المستشفى غير كل شيء.

تقول ابنتها.. فى شهادة مؤلمة: ماما دخلت وهى كويسة... مكناش متوقعين غير إنها تخرج على رجليها.. لكن فجأة حالتها بدأت تتدهور بشكل غريب.. وبدأنا نسمع عن وجود عدوى بكتيرية خطيرة.

خلال فترة تواجدها أصيبت المريضة بعدوى بكتيرية شديدة شملت أنواعا معروفة بخطورتها ومقاومتها للمضادات الحيوية من بينها بكتيريا Acinetobacter baumannii و Klebsiella وE. coli..

هذه العدوى تسببت فى تدهور حاد ومفاجئ فى حالتها الصحية.. حيث بدأت رحلة طويلة من الصراع مع المرض...

٤٧ يوما من المعاناة دون تحسن داخل العناية المركزة.. استمرت الحالة لمدة ٤٧ يوما خضعت خلالها المريضة لمحاولات علاج مكثفة شملت تغيير أنواع متعددة من المضادات الحيوية ومتابعة دقيقة على مدار الساعة.

لكن بحسب رواية الأسرة لم يحدث أى تحسن حقيقي...

تقول الابنة: كل يوم كنا بنتمسك بأمل صغير... لكن مفيش استجابة.. البكتيريا كانت أقوى من أى علاج بيتاخد...

أسرة تتهم مستشفى بالتسبب في عدوى بكتيرية قاتلة واجبارها على توقيع إيصال أمانة مقابل استلام الجثمان

التحاليل الطبية.. وفقا للأسرة، أثبتت أن البكتيريا المسببة للعدوى كانت من الأنواع المقاومة لعدد كبير من المضادات الحيوية ما اضطر الأطباء لاستخدام أدوية قوية للغاية...

إلا أن هذه الادوية رغم ضرورتها تسببت فى مضاعفات خطيرة أثرت على أجهزة الجسم المختلفة وزادت من تعقيد الحالة الصحية...

العلاج نفسه بقى بيأذيها... بس مكنش فيه بديل.. تقول الابنة..

مع استمرار التدهور وفشل السيطرة على العدوى أو تحقيق أى استجابة ملموسة للعلاج توفيت المريضة داخل العناية المركزة بعد ٤٧ يوما من المعاناة..

رحلت.. بعد أن دخلت المستشفى بإجراء بسيط لتخرج منها جثمانا.

الأسرة تؤكد امتلاكها كافة التقارير الطبية والتحاليل التى توثق مسار الحالة منذ دخولها المستشفى وحتى الوفاة وتطالب بفتح تحقيق فى الواقعة..

اللى حصل مش لازم يتكرر مع حد تاني.. احنا مش بندور على حاجة غير الحقيقة وحقها.. تقول الابنة..

وتضيف الأسرة أن الصدمة لم تتوقف عند الوفاة بل امتدت إلى ما بعدها حيث تم بحسب روايتهم اجبارهم على توقيع إيصال أمانة بقيمة ٣٢٠ ألف جنيه كشرط لاستلام جثمان المتوفاة...

واقعة تطرح تساؤلات خطيرة حول الإجراءات داخل بعض المؤسسات الطبية..ومدى قانونيتها...

القصة تفتح الباب أمام تساؤلات عدة..

هل كانت العدوى نتيجة إهمال داخل المستشفى؟

هل تم التعامل مع الحالة وفقا للبروتوكولات الطبية السليمة؟

وما مدى قانونية اجبار أسرة مكلومة على توقيع التزامات مالية تحت هذا الظرف؟

أسئلة تنتظر تحقيقا شفافا... حتى لا تتحول المأساة إلى واقع متكرر.

مادونا شوقى

اتهام شخص فى السويد ببيع زوجته لأكثر من ١٢٠ رجلا

وجّهت النيابة العامة السويدية الاثنين، اتهامات لرجل يُشتبه فى بيعه خدمات زوجته الجنسية لأكثر من ١٢٠ رجلًا، وتشمل التهم القوادة والاغتصاب والاعتداءات الجنسية.

وأوقفت السلطات الرجل البالغ ٦٢ عامًا فى أواخر أكتوبر الماضي، ووضعته قيد الحبس الاحتياطى بعدما أبلغت زوجته الشرطة فى شمال السويد عنه.

ويشتبه فى أنّ الزوج استفاد ماليًا لسنوات من خلال الضغط على زوجته "لإجبارها على ممارسة أفعال جنسية والخضوع"، بحسب لائحة الاتهام.

واتّهم الرجل بنشر إعلانات على الإنترنت وترتيب لقاءات والضغط على زوجته لممارسة أفعال جنسية عبر الإنترنت، بهدف جذب المزيد من الزبائن، وبالعنف والتهديد واستغلال إدمانها على المخدرات.

ووصفت النيابة العامة هذه الأفعال بأنها "استغلال وحشي".

وتتناول لائحة الاتهام تهديدات عديدة وجّهها الرجل إلى زوجته المشتكية.

وقالت المدعية العامة إيدا أنرستيدت لوكالة فرانس برس فى فبراير الماضي، إنّه تمّ تحديد هوية نحو ١٢٠ شخصًا يُشتبه فى استفادتهم من خدمات جنسية خلال سنوات، ووقعت هذه الأحداث بين ١١ أغسطس ٢٠٢٢ و٢١ أكتوبر ٢٠٢٥.

وفيما ينفى الرجل التهم المُوجّهة إليه، قالت محامية المرأة، سيلفيا إنغولفسدوتير لوكالة فرانس برس، إنّ موكلتها كانت ضحية "جرائم خطيرة، وإنّها تأمل حاليًا فى إحقاق العدالة".

وأفادت هيئة البث العامة "إس فى تي" بأنّ المحاكمة ستبدأ فى ١٣ أبريل المقبل.

كابونجا بسحب سيارة بجفون عيونه ٨ أمتار

سحب البطل العالمى وصاحب الارقام القياسية بموسوعة جينيس البطل اشرف كابونجا سيارة لمسافة ٨ متر بوزن ١٧٥٠ كيلو جراما باستخدام جفون عينيه، وجاء ذلك فى محاولة لتحطيم الرقم المسجل باسم المنافس الصينى تشانجسج خلال العام ٢٠٠٦ بوزن ١٥٠٠كيلو جرام؛ وجرت المحاولة ذلك فى نادى الصفوة الرياضى.

وأفاد اشرف كابونجا أن هذا هو الرقم العاشر فى مسيرته الرياضية كاقوى رجل فى العالم؛ كما وجه كابونجا الشكر لمجلس إدارة نادى الصفوة الرياضى على دعمهم المستمر له وعلى رأسهم المهندس عادل اسماعيل رئيس مجلس إدارة نادى الصفوة الرياضى والدكتور عبد الرحمن جادالله المدير الفنى للنادى والدكتورة مروة شطا رئيس مجلس إدارة الصحة النفسية والكابتن تامر ايفو والكابتن احمد ابوبطة والكابتن ايمان كمال صاحبة السيارة والكابتن ماجد علام والكابتن محمد زلابية

جوهار جان.. الفنانة الأرمينية التى أضاءت سماء الموسيقى الهندية

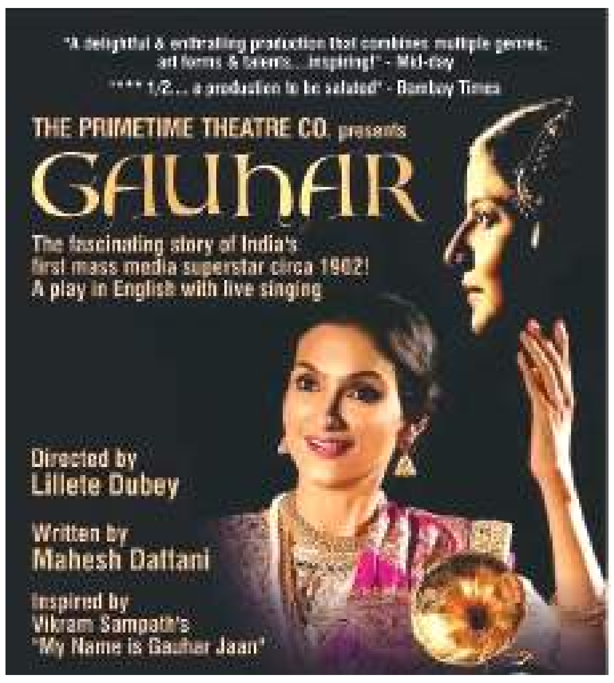

قبل عصر بوليوود ووسائل الإعلام الحديثة، كانت الموسيقى تُقدّم فقط فى الحفلات الحية، ولم يكن للجمهور العادى فرصة لسماع الأصوات المبدعة إلا بالصدفة أو الحضور الشخصي.

لكن مع ظهور الغراموفون، انقلبت قواعد اللعبة، وظهر على الساحة اسم سيخلد فى تاريخ الموسيقى الهندية: جوهار جان.

وُلدت عام ١٨٧٣ باسم إيلين أنجلينا بيوارد، لأصول أرمينية، وبرزت فى مدينة كلكتا حيث نجحت مع والدتها فى صناعة اسم لامع فى عالم الغناء.

لاحقًا، تبنّت الاسم الفنى "جوهار جان"، لتصبح واحدة من أبرز نجمات عصرها.

فى ٢ نوفمبر ١٩٠٢، دخلت التاريخ كأول فنانة تُسجّل موسيقاها فى الهند على أسطوانة غراموفون، لتصبح صوتها مسموعًا خارج حدود المسارح ويصل إلى أرجاء العالم.

طوّرت أسلوبًا مبتكرًا لتقديم المقامات الهندوستانية الطويلة ضمن مدة ثلاث دقائق فقط، بما يناسب قيود تقنية التسجيل آنذاك، وكانت تختتم تسجيلاتها دائمًا بعبارتها الشهيرة: "My name is Gauhar Jaan"! تميّزت جوهار جان بشخصية جريئة ومحبة للمتعة، فكانت تُقيم حفلات باذخة وتتنقل فى شوارع كلكتا بعربات تجرها الخيول، حتى دفعت غرامة باهظة للحكومة البريطانية لأنها كسرت القواعد التى تمنع عامة الشعب من ركوب هذه العربات.

انتشرت صورها على بطاقات بريدية وعلب كبريت صُنعت فى النمسا، ما جعلها أيقونة شعبية قبل أن يعرف العالم وسائل الإعلام الحديثة.

خلال مسيرتها الفنية اللامعة، سجّلت جوهار جان نحو ٦٠٠ أسطوانة بأكثر من ١٥ لغة، من بينها الهندوستانية، البنغالية، الأردية، العربية، السنسكريتية، الكاشي، وحتى الإنجليزية والفرنسية.

وفى عام ١٩٠٣، بدأت تسجيلاتها تُطرح فى الأسواق الهندية، محققة رواجًا واسعًا، حتى أنها أُحيت دعواتها للغناء أمام الملك جورج أثناء احتفالات دلهى دوربار.

فى سنواتها الأخيرة، عاشَت جوهار جان تحت رعاية مهراجا ميسور، قبل أن تُسدل الستار على حياتها عام ١٩٣٠، بعد أن تركت إرثًا موسيقيًا خالدًا.

اليوم، تُبذل جهود متواصلة لإحياء أعمالها وقصتها عبر الأفلام والكتب، باعتبارها الجسر الذى ربط بين الفن التقليدى والتكنولوجيا الحديثة، وأول من صاغ مفهوم "النجومية" فى الموسيقى الهندية.

أميرة الشريف